



يكتب dig

مكتبة digicam

لماذا أهلاً فتح باب

للمعرفة والتجربة والتجدد والتجدد والتجدد

عندما ينبع على الشفاعة



يكتب dig

مكتبة digicam

لماذا أنا فتحت بابك

للمزيد من المعلومات و الشرح المفصل للكلمات المفهرسة

يمكنكم زيارة على الموقع

# يَجْدِنُه مَكْتُوبًا

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في  
أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكاملي

**يجدونه مكتوبًا عندهم**

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ج

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كامل، فيصل عي

يجعلونه مكتوباً عندهم / فيصل حل كاملي - الرياض

١٤٣٤هـ

١٩٤ ص ١٤٥ / ٥ - ٢١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٠١-٢٣-٠

١- المسيرة النبوية ٢- الشيائل الحمدية ٣- العنوان

١٤٣٤ / ٢٠١٢

دعيوي ٦ ٢٣٩

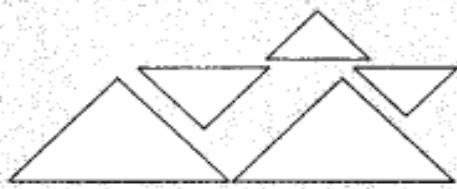
رقم الإيداع: ١٤٣٤ / ٢٠١٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٠١-٢٣-٠





## مُقدمة





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، الرسول النبي الأمي ﴿الَّذِي يَحْدُو نَّهَاءً، مَكْثُواً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيِّثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الْقِيَّ كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أما بعد، فهذه رسالة وجيبة في بعض ما جاء من صفات المصطفى ﷺ في أسفار أهل الكتاب، سطرتها تكون تذكرة للمؤمنين وتبصرة للغافلين وحجة على المعاندين. ولست في ذلك رائداً، فقد سبق إلى بيان ذلك السابقون؛ فعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. قال: أجمل والله إنّه لم يوصوف في التوراة ببعض صفتته في القرآن ﴿يَأْتِيهَا الْنَّيِّرُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولي، سميتك المتوكلاً، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يغفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به

الْمِلَّةُ الْعَوْجَاءُ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا  
وَقُلُوبًا غُلْفًا. [صحيح البخاري].

لكتني أحسب أنني بذلت وُسعي في الرجوع إلى مصادر القوم؛  
فيبيّنت الغامض، وصححت السقيم، وأبطلت دعاوى الخصوم؛ حتى  
يكون في ذلك مزيد حجة. لكتني لم أذكر كل ما وقع تحت يدي من  
إشارات في أسفار أهل الكتاب لأسباب منها: قناعتي بأن بعض ما  
يُظن أنه من البشارات ليس كذلك، كذكر اسم محمد ﷺ في سفر نشيد  
الأنسان؛ كما أني حرست على الإيجاز فلم أذكر من البشارات ما  
يتطلب سرداً تارينياً قد ينوه بالقارئ غير المختص. ولعل فيها أوردته  
كفاية لمن كان متجرداً للحق غير متغصب لهواه.

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة فصول. الفصل الأول: وأوردت  
فيه بعض إشارات أسفار أهل الكتاب إلى زمن ظهورنبي آخر الزمان.  
الفصل الثاني: وأشارت فيه إلى الموطن الذي ذكر فيه اسمنبي آخر  
الزمان صراحة في أصله العبراني. الفصل الثالث: وذكرت فيه تمجيد  
قبلة النبي الخاتم في كتب القوم وأنها ستكون مثابة للناس. الفصل  
الرابع: وأوردت فيه بعض تباشير أسفار أهل الكتاب بظهور أمة النبي  
الخاتم على غيرها من الأمم.

ختاماً: لا أنسى من كان له بالغ الأثر في حياتي؛ والدتي التي كانت لي خير معين، فحال بيني وبينها اليقين، ولئن كانت في حياتها واعظة لي مذكورة، فإنها اليوم أو عظ. فإن أفادت - أخي - شيئاً من هذه الورقات فلا تخلى عليها بدعة بظهور الغيب، فإنما هذا الجهد وصاحبها حسنة من حسناتها.

أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها، وأن يكرم نزلها، وأن يبلغها منازل الصديقين. كما أسأله أن يجعل ما سطرته زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

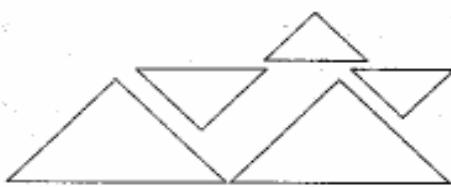
فيصل بن علي الكاملي

popedia@windowslive.com



**الفصل الأول**

**نبي آخر الزمان**



## مدخل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

"العلم بنبوة محمد ﷺ ونبيوة المسيح ﷺ لا يتوقف على العلم بأن من قبلهما بشّر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ثبتت نبوته عند من علم ذلك وإن لم يعلم أن من قبله بشّر به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قبله بمجيئه وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع؛ صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته علم أن هذا قد وقع وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به يقديح في نبوته، وأنه إذا قدر أنه لم يخبر به من قبله والإخبار شرط في النبوة كان ذلك قدحاً.

قيل: الجواب هنا من طريقين، أحدهما: أن يقال إذا علمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة فإما أن يكون تبشير من قبله لازماً لنبوته واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً. فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً علم أنه قد وقع وإن كان ذلك لم ينقل إلينا، إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا، وليس كل ما أخبر به المسيح

ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قدر أن هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن أنهم ذكروه وما نُقل، ويمكن أن أنه كان في كتب غير هذه، ويمكن أن كان في نسخ غير هذه النسخ فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة لا يمكن الجزم ببنفيه. فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب لم يقطع بأن الأنبياء لم يبشّروا به.

إذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ﷺ لم يبشر به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك؛ بل غاية ما يكون عند أحدهم ظن لكونه طلب ذلك فلم يجده. ودلائل نبوة المسيح ﷺ ومحمد ﷺ قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح البخاري ...".<sup>(١)</sup>

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ)، ٥ / ١٥٣.

ومع هذا فإن الإشارات إلى اسمه ﷺ وظهور أمته على الأمم  
وتحول قبلته، ما زالت موجودة فيها بين أيدي اليهود والنصارى مما  
يؤمنون بصحته من كتبهم وما يخفونه مما سيأتي بيانه، والله المستعان.

\* \* \*

## رؤيا الأسابيع

الكتابات المنحولة:

قبل الحديث عن رؤيا الأسابيع يجدر بنا التعريف بأسفار الـ«سوديبيجرافا» أو «الكتابات المنحولة» التي تضم هذه الرؤيا؛ فهي عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة التي لم تجد مكانها بين الأسفار القانونية عند أهل الكتاب، ويعود تاريخ أقدمها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد، وقد نسبت إلى غير كاتبها على رأي أكثر العلماء، وهذا سبب وصفها بالمنحولة. من هذه الأسفار «سفر أخنونخ» و«رؤيا إبراهيم العنكبوت» و«عهد موسى العنكبوت».

لكن نسبة هذه الأسفار إلى غير كاتبها الأصلي لا يعييها في نظر علماء أهل الكتاب، فهذا حال أكثر الأسفار القانونية المعترضة عندهم. يؤكّد هذه الحقيقة المرجع المعترَّبُ المعروف بـ«قاموس آنكور الكتبي» إذ يقول:

أكثر العلماء لا يهتمون لعجزهم عن تعريف الـ«سوديبيجرافا» أو الكتابات المنحولة. فهم يتفقون على أن بعض الكتابات في العهدين القديم والجديد منحولة كذلك، على سبيل المثال:

مزامير داود، وأمثال سليمان، والرسائل المنسوبة خطأً إلى بولس، لا سيما رسالته إلى العبرانيين والكولوسيين والرسائل الرعاوية.<sup>(١)</sup>

فنحن عندما نستشهد بهذه الأسفار المنحولة فإننا نستشهد بوثائق وكتابات لا تقل في قيمتها العلمية أو التاريخية عن الأسفار القانونية، بل قد تفوقها أحياناً كما هو حال «سفر أخنوخ» الذي كان مرجعاً لبعض كتاب العهد الجديد كما سبّق. وإنها بدأت بالبشارات الموجودة في هذه الأسفار لخفائها على كثير من الباحثين، فيكون ذلك مدعاهة لانتشارها، ولأنها ترسم لنا خلفيّة تاريخية واسعة ورائعة قبل الانتقال إلى تفاصيل البشارات الأخرى.<sup>(٢)</sup>

### سفر أخنوخ و«رؤيا الأساطيع»:

سفر أخنوخ أحد الأسفار المنحولة كما سبق، وينسب إلى أخنوخ، الذي هو إدريس عليه السلام كما يرى بعض العلماء، وهو أحد أجداد نوح عليه السلام. يعد هذا السفر من الأسفار القانونية المعترف بها في الكنسيتين

(1) The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992), vol. 5, p. 538.

(2) سبق إلى الإشارة إلى بشارات الأسفار المنحولة الدكتور هشام طلبة والدكتور نصر الله أبو طالب فوجب الاعتراف لها بالأسبية جزاها الله خيراً.

الأرثوذكسيّة الإثيوبيّة والأرثوذكسيّة الإريتريّة، ويوجّد كاملاً في مخطوطاته الجعزية (اللغة الإثيوبيّة القديمة)، مع قطعٍ بالأramaic من مخطوطات البحر الميت، وبعض القطع باليونانيّة واللاتينيّة. لذا فإنّ الرأي السائد عند الكنيسة الإثيوبيّة أنه كتب في أصله باللغة الجعزية، بينما يرى غيرهم من العلماء أنه دُوّن بالأramaic أو بالعربية.

ثمة إشارة إلى سفر أخنوخ في رسالة يهوذا من العهد الجديد، إذ تقول الرسالة: "وَتَبَّأَ عَنْ هُؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابُعُ مِنْ آدَمَ، فَائِلًا: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتٍ قِدَّيسِيهِ، لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمُ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةُ فُجَارٍ»".<sup>(١)</sup> وهذا موجود بتّمامه في سفر أخنوخ الأول (٩: ١)؛ بل إن الموسوعة الكتابية Encyclopedia Biblica ترى أن كتاب العهد الجديد كانوا على دراية بسفر أخنوخ وأنهم تأثروا به فكراً وأسلوباً.<sup>(٢)</sup>

(١) يهوذا (١٤: ١٥).

(٢) Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899), "Apocalyptic Literature", vol. I, column 220.

يتضمن سفرُ أخنوخ رسالة تُعرف بـ«رسالة أخنوخ»، وهذه الأخيرة تتالف من خمسة أقسام، أحدها «رؤيا الأسابيع» The Apocalypse of the Weeks التي هي موضوع بحثنا. وبما أن الحديث عن رؤيا الأسابيع يتطلب بعض التفاصيل التي قد لا تهم كثيراً من القراء غير المختصين، مع حرصي على تيسير المراد دون القصور عن تقديم الدليل؛ فقد آثرت أن أقتبس كلاماً لأحد الأعلام في هذا الشأن يوجز ما نريد بيانه. هذا العَلَم هو «حانان إيشيل» أستاذ مخطوطات البحر الميت الأسبق في جامعة «بار إيلان» بتل أبيب. يقول «إيشيل»:

«رؤيا الأسابيع» هي رؤيا تسجل تاريخ العالم بأسلوب وجيز جداً، إذ تقسمه إلى وحدات زمنية معينة تدعى «أسابيع». وكل أسبوع منها يحوي وصفاً بالإيجاب أو بالسلب. رؤيا الأسابيع محفوظة في رسالة أخنوخ التي هي واحد من المؤلفات التي يشتمل عليها أخنوخ الأول (الفصول ٩٠-١٠٥). في النسخ الإثيوبي لأخنوخ الأول، تقسم رؤيا الأسابيع إلى قسمين: ٩٣:٣ وتصف سبعة أسابيع من خلق العالم إلى نهاية الأيام؛ و ٩١:١٢-١٥ وتصف الأسابيع الثلاثة الأخيرة

التي يدين فيها رب العصاة ... وعلى غرار «ر. ه. تشارلز» فإن جمهور العلماء يفضلون نقل الأسابيع الثلاثة الأخيرة إلى نهاية رؤيا الأسابيع. يؤيد هذا ما وجد في النسخة الآرامية لسفر أختونخ الأول من لفائف قُمّران، حيث تأتي الأسابيع الثلاثة عقب رؤيا الأسابيع السبعة. فإجماع العلماء إذن على أن المرء بحاجة إلى أن يميز بين رؤيا الأسابيع السبعة التي تصف أزمنة تاريخية حقيقة، وبين الأسابيع الثلاثة الأخيرة التي تتناول ما وراء التاريخ<sup>(١)</sup>.

وعليه، فلن أخرق هذا الإجماع بين علماء أهل الكتاب، وسأرتب النص كما أرادوا. ولكن قبل الشروع في ذلك ينبغي أن نحدد التاريخ الذي كتبت فيه هذه الرؤيا فإنهما لو لم تكن قد سطرت قبل بعثة المصطفى ﷺ ما كانت حجة في بابها، إذ سيرد عليها احتيال أن تكون مادونه المسلمون ونسبوه إلى غابر الأزمان، كما قيل عن «إنجيل برنابا» الشهير.

---

(1) Hanan Eshel, “Dibre Hame’orot and the Apocalypse of Weeks” in Things Revealed, ed. Esther G. Chazon, et al. (Leiden: Brill, 2004), p. 149.

لكن اليهودي «إيشيل» قد كفانا المؤونة بقوله: "ومن المتفق عليه [عند العلماء] كذلك أن «رؤيا الأسابيع» أقدم رؤيا تاريخية يهودية باقية، وأنه ينبغي أن تؤرّخ بمتتصف القرن الثاني قبل الميلاد."<sup>(١)</sup> أي قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بأكثر من سبعين عاماً. وهناك من أعاد تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، كـ«جيمس تشالرزورث» محرر أشهر طبعة للأسفار المنحولة.<sup>(٢)</sup> بل ذهب الأب «ترتوليان» (١٦٠-٢٢٥م) – وهو من أكابر علمائهم ولقب بـ"أبي النصرانية اللاتينية"<sup>(٣)</sup> – إلى أن سفر أخنوخ كتبه أخنوخ نفسه (إدريس عليه السلام) بوحي من الرب، أي قبل زمان نوح عليه السلام، وأفرد «ترتوليان» لذلك فصلاًًاً اسماه «حول أصالة نبوة أخنوخ».<sup>(٤)</sup> وأيًّاً كان الأمر فإننا سنُسلِّم جدلاًًا لاجماع العلماء المعاصرين على أنه كُتب في منتصف القرن

---

(1) Hanan Eshel, p. 150.

(2) David N. Freedman, ed. *The Anchor Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1996), vol. V, p. 539.

(3) Marcus Aurelius, *The Apology of Tertullian*, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894), p. vii.

(4) Rev. Alexander Roberts. *The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325* (Cosimo, Inc., 2007), vol. IV, p. 15.

الثاني قبل الميلاد فهو كافٍ لإثبات قدم البشرة التي نحن بصددها.

بقيت الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن الرؤيا تقسّم تاريخ العالم إلى عشرة أسباب؛ وليس ثمة ما يحدد مدة هذه الأسباب صراحة، ولذا وقع فيها الخلاف بين علماء أهل الكتاب على أقوال منها الغث ومنها السمين. يقول «روجر بيكون» في كتابه «التقويم والتسلسل الزمني»:

من الملاحظ أن حدثاً واحداً مهماً على الأقل يحدث في كل أسبوع من هذه الأسباب، ولكن في أربعة منها (السادس والسابع والثامن والعشر) تجري عدة أحداث مهمة؛ وكذا في سبعة من الأسباب (الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعشر) يحصل حدث مهم في "متناه" أو في "الجزء السابع"، ولا يقع هذا في الثلاثة الآخر. وهذا يدل على أن الأسباب لا تتبع طولاً غير محدد أو عشوائياً، كما يفترض أحياناً<sup>(١)</sup>، وإنما يتوقع المرء أن يكون هناك حدث مهم واحد في كل أسبوع، وأن يتنهي الأسبوع بحدوث الحدث

---

(١) الكاتب هنا يرد على أمثال «ج. ت. ميليك» J. T. Milik من زعموا أن هذه الأسباب تدل على حقب من التاريخ لا يطُرد فيها طول الوحدات الزمنية المستعملة (الأسباب).

دائماً، وليس أحياناً. هذه النتيجة تؤيدتها الأدلة التي تم بحثها [فيها سلف من كتابه] والتي تبرهن على أن الإسنيين تحرروا الدقة في قياس الزمن وانتظروا أحداثاً مهمة تحصل في فترات منتظمة يتم حسابها بضرب العدددين المقدّسين ٧ و ١٠ بعضهما أو بنفسيهما. والكلمة "أسبوع" نفسها تتضمن العدد ٧، ولكن السؤال هو: سبعة ماذا؟ فالأسابيع هنا ليست أسابيع من الأيام أو الأعوام، فهذا زمان قصير جداً، فمم تتألف هذه الأسابيع إذن؟<sup>(١)</sup>.

ثم يعرض «بيكويث» الرأيين السائدين في هذه المسألة فيقول: "الرأيان الحقيقان بالنظر هما: [الأول] أن ١٠ أسابيع تعني أسابيع من الأجيال، و[الآخر] أنها أسابيع من القرون. لكن الاقتراح الأخير كما سترى له حظ من المصداقية، بينما يبدو الأول ناتجاً عن سوء فهم مُطبق."<sup>(٢)</sup>

---

(1) Roger Beckwith. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 244.

(2) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 244.

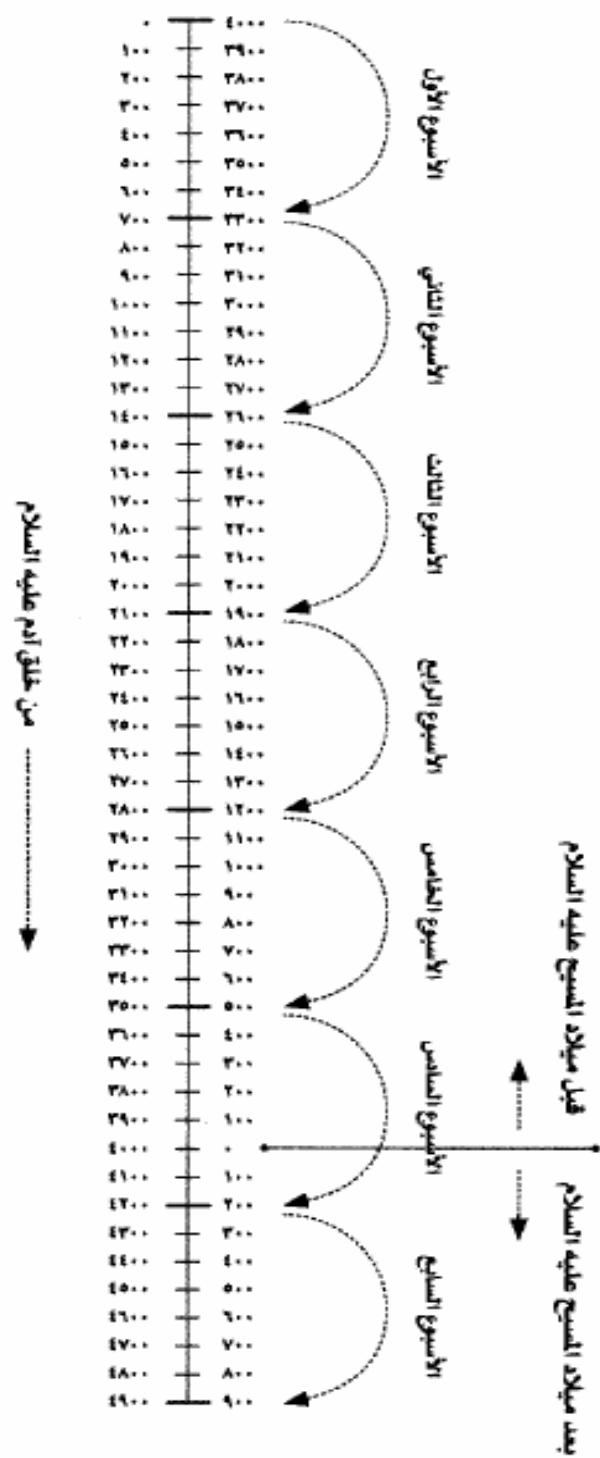
يؤيد هذا ما ذهب إليه «ريشارد لورنس» في تعليقه على الأسبوع الأول من الرؤيا بقوله: "من الواضح في نمط الحساب المتبني هنا أن اليوم يقوم مقام مائة عام. وبناء عليه يكون الأسبوع تعبيراً عن سبعمائة عام."<sup>(1)</sup>

فتحن إذن أمام نص للعدد فيه دلالة واضحة كما يرى «بيكويث» ويعتبره «لورنس»، وأساليبه يتالف الواحد منها من سبعة قرون. أي أن كل أسبوع من الأسابيع السبعة الأولى التي تعنينا في هذه الرؤيا، يعدل ٧٠٠ عام. وهذا المنهج الذي اقترحه «بيكويث» هو الذي سأثير عليه هنا مع بيان أخطاء علماء أهل الكتاب في تحليلهم للرؤيا.

وقد جعلت بداية خلق آدم عليه السلام قبل الميلاد بأربعة آلاف عام تقريباً، معلولاً على التوراة العبرانية التي هي عمدتهم، ولا يزال هذا التقدير هو الشائع عند من يقول بعصمة الكتاب المقدس؛ ومن مشاهير من قالوا به العالم الإيرلندي الشهير «جيمس أشر» الذي اعتمدته في تقويمه المعروف بـ «تقويم أشر» Ussher Chronology، والحاخام «يوسي بن حلفتا»، والقديس «بيد» الملقب بالمجل، والسير «إسحاق نيوتن»، مع اختلاف يسير بينهم. وإنما اعتمدت هذا التقدير من باب إلزام المعارض فهو حجة عليه لا على.

---

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838), p. 242.



## الخط الزمني للرواية الأسلامية

وقد آثرت أن أترجم نص الرؤيا عن الإنجليزية بنفسى معتمداً النسخة المحققة التي نشرها «تشارلز» في كتابه «سفر أخنوخ»<sup>(١)</sup>، لـما رأيت من عدم الدقة أحياناً في الترجمات العربية المتاحة. وسأورد النص أولاً ثم أعلق عليه.

رسالة أخنوخ، رؤيا الأسابيع، الاصحاح ٩٣ :

١. ثم طرق أخنوخ يروي من الكتب .
٢. فقال أخنوخ: عن بنى البر، وعن صفوة الخلق، وغراس الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخ - أي بنى، كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار، وتعلمت من ألواح السماء .
٣. فطرق أخنوخ يروي من الكتب [ قائلاً]: ولدت السابع في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقين .
٤. ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه يُنجى إنسان . وبعد أن ينقضى يتعاظم الإثم

---

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893), p. 271.

ويصنع الرب شريعة للخطاة.

٥. وبعدئذ، في الأسبوع الثالث، في منتهاء، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

٦. وبعدئذ، في الأسبوع الرابع، في منتهاء، ترى رؤى القدس والبار، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

٧. وبعدئذ، في الأسبوع الخامس، في منتهاء، يبني بيت المجد والملائكة إلى الأبد.

٨. وبعدئذ، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم كلهم قد أسرها نسيان الحكمة الشرير؛ وفيه يصعد إنسان. وفي منتهاء يحرق بيت الملائكة، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت.

٩. وبعدئذ، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

١٠. وفي منتهاء، يصطفى المصطفون الأخيار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

تفسير النص:

١. ثم طفق أخنوح يروي من الكتب.

أخنوح هو إدريس عليه السلام، وقد أشار إلى هذا القول الإمام الطبرى عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفَلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].<sup>(١)</sup> وهذا القول وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس له حظ من الأثر. أما حظه من النظر فمشابهة سيرة أخنوح سيرة إدريس عليه السلام كرفعه إلى السماء وأنه أول من خط بالقلم (أو اخترع الكتابة على حد تعبير أهل الكتاب). أما من ناحية الأثر فإننا لا نملك نصاً صحيحاً صريحاً يشير إلى أن أخنوح هو إدريس عليه السلام فيما أعلم، وبناء عليه فلا يمكننا الجزم بطبيعة "الكتب" المشار إليها في النص. وأياً كان الأمر فإن هذه النسبة لا تعنينا كثيراً في هذه الدراسة.

٢. فقال أخنوح: عن بنى البر، وعن صفوة الخلق، وغراس الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوح - أي بنى، كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار،

(١) ابن جرير الطبرى، تفسير الطبرى المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٤٢٠٠٤م)، ١٠ / ٧٩.

وتعلمت من ألواح السماء.

هذا الذي يرويه لنا أخنونخ عن "صفوة الخلق" و"غراس الاستقامة" مما تلقاه - إن ثبتت نبوته - من الوحي السماوي عن طريق الملك. وأما "اللوح السماء" فلعلها اللوح المحفوظ. وهذا كله على افتراض صحة ما نقل إلينا، وإن فمثله لا يثبت إلا بإسناد صحيح.

٣. فطفق أخنونخ يروي من الكتب [قائلاً]: ولدتُ السابع في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقيين.

هنا يبدأ الحديث عن السبعمائة عام الأولى منذ خلق آدم الصلوة إلى نهاية الأسبوع الأول.

قوله "ولدتُ السابع في الأسبوع الأول" يحتمل أن يكون المراد منه: ولدت في القرن السابع من الأسبوع الأول. وهو معنى صحيح، فأغلب علماء أهل الكتاب على أن «أخنونخ» ولد عام ٦٢٢ منذ بدء الخليقة، وهذا يجعله في القرن السابع تماماً. ويحتمل أن يكون المراد ترتيبه من بين الآباء العشرة من آدم إلى نوح عليهما السلام، وهذا أيضاً صحيح؛ فالآباء العشرة عند أهل الكتاب هم: ١. آدم ٢. شيث ٣. إنوش ٤. قينان ٥. مهلائيل ٦. يرد ٧. أخنونخ ٨. متوشلح ٩.

لامك ١٠ . نوح. يؤيد هذا ما ورد في رسالة يهودا (١: ١٤) المشار إليها أعلاه حيث جاء فيها "وَتَنَبَّأَ عَنْ هُؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابُعُ مِنْ آدَمَ."

قوله "إذ لم يزل الحكم والبر باقين"، هذا صريح في أن البشر كانوا على الجادة إلى زمن أخنوخ، وأنهم كانوا يحكمون شرع الله ويعبدونه دون سواه. وقد ثبت عن ابن عباس رض أنه قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام."<sup>(١)</sup> ونوح من أحفاد أخنوخ كما يذكر علماء الأنساب.

٤ . ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه ينجى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعاظم الإثم ويصنع الرب شريعة للخطاة.

هذا الأسبوع الثاني من رؤيا أخنوخ، ويمتد تقريرًا بين ٧٠٠ - ١٤٠٠ م. من ذ بدء الخلق؛ وهي الحقبة التي ظهر فيها نبي الله نوح عليه السلام وأغرق الله فيها الكافرين باعتراف علماء أهل الكتاب. فقد

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره والحاكم بإسناد على شرط البخاري كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي.

ذكر «جون كولينز» أن في الفقرة "إشارة إلى نوح".<sup>(١)</sup> وقال «تشارلز» في تعليقه على هذا النص: "هذا الأسبوع يشمل الطوفان والعهد مع نوح"<sup>(٢)</sup>، كذلك ينص «بيكويث» على أن "النهاية الأولى" هي الطوفان، وأن "الإنسان" الذي ينجو هو نوح عليه السلام.<sup>(٣)</sup>

قوله "ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر" يشير إلى معنى قريب من قول الله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْتِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَرِدْهُ مَالُهُ وَوَلْدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَارًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ إِلَهَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُواعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسَرًا﴾<sup>(٦)</sup> [نوح: ٢١-٢٣].

وقد روى البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدًا وَلَا سُواعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسَرًا﴾ [نوح: ٢٣] عن ابن عباس قوله: "... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجتمعون أناضالاً وسموها

(1) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997), p. 21.

(2) R. H. Charles. The Book of Enoch, p. 272.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 243.

بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ  
عُبَدَتْ. "١١"

فهذا هو "الشر العظيم"؛ وأي شر أعظم من الشرك بالله وعبادة الأوثان بعد أن كان الناس على توحيد الله تبارك وتعالى؟ ومن عجب أن قرأت هذه الفقرة من رؤيا أخنونخ بين الشر العظيم وظهور المكر، كما أن الآية قرنت بين عبادة الأوثان والمكر الكبار، فعلم من الآية الكريمة أن المقصود به مكرهم في معاندة الحق، وتزيينهم لقومهم عبادة الأصنام.

دعاهم نوح ﷺ ليلاً ونهاراً، وسرأ وجهاراً، فما زادهم ذلك إلا إمعاناً في البعد عن الحق، حتى إنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لا يريدون سمعاً، فلما يئس من إيهانهم توجه إلى ربه قائلاً ﴿وَرَبِّ لَا نَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِ بِنَ دَيَارًا﴾ ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضْلُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

وهنا كانت "النهاية الأولى"، إذ أمر الله نبيه نوح ﷺ ببناء الفلك، وسلط على الكافرين المعاندين طوفاناً عظيماً غمر جميع

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٦٣٦.

الأرض فلم ينج إلا نوح القطب ومن اتبعه من المؤمنين، وهذا معنى قول أخنونخ: "وَفِيهِ يُنْجَى إِنْسَانٌ". قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَنَعِمَ الْمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٧ ﴾ [الصفات: ٧٥-٧٧]. فكل من جاء من بعد نوح القطب إنما هو من ذريته.

لكن الشيطان ما زال بذرية نوح القطب حتى طغى منهم قوم عاد وتعاظم شرهم، وكانوا من أول الأمم عبادة للأصنام بعد الطوفان؛ فأرسل الله إليهم رسوله هوداً القطب ليبلغهم رسالة ربه. قال تعالى في شأنهم: ﴿ وَإِنَّ عَادَ لَخَافِهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْقُونَ ٦٥ قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظَنَّكَ مِنَ الْكَذِيلِينَ ٦٦ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَدِكَنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٧ أَبْلَغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَيْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ ثُوجَ وَزَادُوكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَلَةً فَآذَكُرُوا إِذَا أَلَّمَ اللَّهُ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٩].

ولعل شأن قوم عاد هؤلاء وثmod من بعدهم، هو ما أشارت إليه الفقرة بقولها: "وبعد أن ينقضي، يتعاظم الإثم ويصنع الرب

شريعة للخطأ." وبعد أن انقضى الطوفان، عادت أقوام إلى الشرك كعادٍ وثمود، فأرسل الله إليهم رسلاً فكذبواهم فأهلكهم الله. وما زال هذا دأب الأمم المعاندة إلى متهى الأسبوع الثالث.

٥. وبعدها، في الأسبوع الثالث، في متهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

قوله: "في الأسبوع الثالث، في متهاه" يدل دلالة بيّنة على أن الوحدات الزمنية (الأسابيع) التي يوظفها أخنونخ في هذا النص مقصودة لذاتها وليس تعبيراً مطلقاً عن مدة طويلة فحسب. فالفقرة هنا لا تكتفي بالإشارة إلى حدث في الأسبوع الثالث، بل تحدد مكان الحدث على الخط الزمني الذي ترسمه لنا رؤيا الأسابيع. هذا الأسبوع وفقاً لخط الزمن يقع بين عامي ١٤٠٠ - ٢١٠٠ منذ بدء خلق آدم عليه السلام. وقبل أن نحدد زمن الحدث نتعرف على الحدث نفسه.

يقول النص: "في الأسبوع الثالث، في متهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار". بمعنى: أن الرب سيصطفى في نهاية هذه الحقبة الزمنية واحداً من البشر ليكون غرسة مباركة تؤتي أكلها إلى الأبد كما يفسره قوله "ووراءه يقوم أبداً غراس البر". وفي ترجمة

«تشارلز» ١٩١٧ "وتصبح ذريته غراس البر إلى الأبد"<sup>(١)</sup> وهي أصرح.

ما أغرق الله أهل الكفر في زمن نوح عليه السلام، جعل ذريته هم الباقيين؛ فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناسبني آدم ينسبون إلى أولاد نوح. لكن الحديث عن نوح عليه السلام قد سبق في الأسبوع الثاني ولا يستقيم أن يكون هو المراد هنا؛ فمن هو المراد يا ترى؟ يتبيّن لنا ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مُهَتَّدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى أنه مُذَبَّث نوح عليه السلام، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالته".<sup>(٢)</sup> وقال إمام المفسرين الطبرى: "وكذلك كانت النبوة في ذريتهما [يعنى نوح وإبراهيم عليهما السلام]، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة".<sup>(٣)</sup>

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]), p. 210.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث)، ٧ / ٥٧٩.

(3) تفسير الطبرى، ٢٧ / ٢٤٥.

فعلم أن المراد بالإنسان الذي يكون في ذريته الحكم بشرع الله والبر والعدل إلى الأبد، هو خليل الله إبراهيم عليه السلام. وهذا ليس بدعاً من القول، فهو ما ذهب إليه علماء أهل الكتاب عند تفسيرهم هذه الفقرة. يقول «تشارلز» معلقاً على النص: "هم إبراهيم وذريته المختارون ليكونوا السلالة التي فيها ومن خلاها يوحى الله أحكامه العادلة".<sup>(١)</sup> ومثل هذا ذهب إليه «جون كولينز» في كتابه «الرؤوية في مخطوطات البحر الميت»<sup>(٢)</sup>، والشواهد على هذا كثيرة. وقد خالف في هذا «روجر بيكون» فزعم أن "الإنسان" المراد في النص هو يعقوب عليه السلام؛ وهي محاولة بائسية لحصر النبوة والكتاب في بنى إسرائيل (يعقوب) واستبعاد بنى إسماعيل عليهما السلام الذين هم من ذرية إبراهيم عليهما السلام بصرىح كتابهم. ولعل هذا ما جعل «بيكون» يورد زعمه بصيغة الاحتمال لا الجزم.<sup>(٣)</sup>

هذا هو الحدث العظيم الذي جعله أخنوخ في نهاية الأسبوع الثالث، إنه اصطفاء الخليل عليه السلام ليكون حاملاً للواء التوحيد هو ومن

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

(2) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls, p. 21.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 246.

صلح من ذريته حتى ادعى النسبة إليه أقوام لم يكونوا من أهل التوحيد  
طمعاً في أن ينالوا الشرف.

أما زمانه فقد عاش القديس، وفقاً للموسوعة الكاثوليكية بل  
وفقاً للرأي السائد بين علماء أهل الكتاب؛ في بداية الألف الثانية قبل  
الميلاد،<sup>(١)</sup> وهذا يضعه في نهاية الأسبوع الثالث تماماً كما ورد في رسالة  
أخنوخ.

٦. وبعدئذ، في الأسبوع الرابع، في منتهاه، ترى رؤى القدس  
والبر، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

يستمر أخنوخ في سرده لأحداث العالم الكبرى ليوقفنا على ما  
يجري في الأسبوع الرابع. والأسبوع الرابع على الخط الزمني يمتد بين  
٢٠٠ - ٢٨٠٠ من تاريخ خلق آدم القديس. لكن النص يحدد هنا - كما  
حدد في الأسبوع الثالث - متهى الأسبوع ليكون زمن وقوع الحدث،  
فيقول: "في الأسبوع الرابع، في منتهاه، ترى رؤى القدس والبر"،  
وقد ذهب «تشارلز» إلى أن المقصود هو "التجليات الربانية لصالح

---

(1) The Catholic Encyclopedia, "Biblical Chronology"  
<[www.newadvent.org/cathen/03731a.htm](http://www.newadvent.org/cathen/03731a.htm)>.

إسرائيل في مصر<sup>(١)</sup>، أي ما ظهر من نصرة الله بنى إسرائيل في مصر وإهلاكه فرعون وقومه، وهو معنى مقبول.

وما يعصب ما ذهب إليه «تشارلز» قول أخنوح بعده "وتصنع لكل أجيال المستقبل شريعةٌ وحظيرة". وهذه إشارة إلى "شريعة" التوراة التي أنزلها الله على كليمته موسى عليه السلام بعد خروج بنى إسرائيل من مصر. أما "الحظيرة" - وهي الأرض المسورة - فقد اختلف في تفسيرها على قولين مشهورين، أحدهما: فلسطين، والآخر: خيمة الاجتماع أو سورها، وهي المعبد المتنقل الذي صحب بنى إسرائيل في بيهم وبعد دخولهم إلى فلسطين. وأيها كان الصواب فلا فرق، فالنص يتحدث عن خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول التوراة وبناء خيمة الاجتماع أو دخول فلسطين، وكل ذلك كان في زمن موسى عليه السلام، وهو المراد إثباته دون حاجة إلى الخوض في التفاصيل.

ولكن هل يتزامن ظهور موسى عليه السلام مع منتهي الأسبوع الرابع كما يشترط النص؟

ثمة رأيان مشهوران لعلماء أهل الكتاب في تحديد زمن مبعث

---

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

موسى عليه السلام بناء على اختلافهم في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر. فالرأي التقليدي يذهب إلى أن الخروج من مصر كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ عمدتهم في هذا المذهب ما جاء في سفر الملوك الأول (٦: ١) «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِائَةٍ وَالثَّمَانِينَ لَخْرُوجٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مُلْكِ سُلَيْمانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ ...»، فإذا كان ابتداء ملك سليمان عليه السلام عام ٩٧٠ ق.م كما هو الراجح عند علماء أهل الكتاب، فإن خروج بني إسرائيل من مصر كان في سنة ١٤٤٦ ق.م تقريباً،<sup>(١)</sup> وعليه فإن فرعون موسى عليه السلام عند القائلين بهذا الرأي هو «تحتمس الثالث» الذي حكم بين ١٤٧٩ - ١٤٢٥ ق.م

وهذا القول لا يخلو من أغلاط، منها:

أولاً: زعم النص المسورى العبرانى أن السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام توافق "سنة الأربع مائة والثمانين" (٤٨٠) لخروج بني إسرائيل؛ يعارض ما جاء في النسخة السبعينية اليونانية الأقدم من أنها تتوافق "سنة الأربع مائة والأربعين" (٤٠)، مما يدل على اضطراب النص.

(١) (٤٠ + ٩٦٦) [السنة الرابعة من حكم سليمان عليه السلام] = ١٤٤٦.

ثانياً: إذا قمنا بحساب السنين من خروج بنى إسرائيل إلى السنة الرابعة من ملك سليمان القديس على وجه التفصيل، فإننا نخلص إلى تقديرات بعيدة عن التقديرتين المذكورتين في النصين العبراني واليوناني، ٤٨٠ و ٤٤٠ عاماً على التوالي، كما يَبَيِّنُ ذلك «أ. س. جيدن» في مدخل «سفر القضاة» الذي كتبه للموسوعة الكتابية الشهيرة

<sup>(١)</sup>. International Standard Bible Encyclopedia

كما نقرأ في «قاموس آنكور الكتابي»:

إن "حلَّ الْكَسُولُ" ببساطة هو أن تجعل الـ ٤٨٠ عاماً المصحح بها في سفر الملوك الأول (٦:١) بين الخروج [من مصر] وبين السنة الرابعة من ملك سليمان (تقريباً ٩٦٦ ق.م.)، فيكون الخروج في عام ١٤٤٦ ق.م، لكن هذا الخلط الساذج يستبعد زخم المعلومات الكتابية الأخرى مضافاً إليها معلومات مستفادة من خارج النص. فالزمن الفارق بين الخروج [والسنة الرابعة من مُلْك سليمان القديس] ليس ٤٨٠ عاماً، بل يربو على ٥٥٣ عاماً... إذا ما تَجَهَّشْمنَا عناء الدراسة

---

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Judges, Book of".

المفصلة لشخصيات تلك الحقبة.<sup>(١)</sup>

أخيراً، هذا القول مع اضطراب نصه الذي يعوّل عليه، يخالف ما توصل إليه علماء الآثار والتاريخ من حقائق حول تاريخ المصريين والكنعانيين تستبعد حصول الخروج في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد أقرت بهذه الحقيقة «الموسوعة اليهودية» إذ قالت:

يتتفق أكثر العلماء على أن القرن الخامس عشر قبل الميلاد تاريخ متقدم جداً على الخروج [من مصر] ولا يتتفق مع المعلومات الأخرى حول التواریخ الإسرائیلیة والکنعانیة والمصریة.<sup>(٢)</sup>

أما الرأي الآخر في المسألة فيجعل خروجبني إسرائيل في متتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكن الخلاف بين القائلين به يكمن في تحديد فرعون الخروج، هل كان «رعمسيس الثاني» أم ابنه «مرنبتاح»؟ وهذا الرأي في عمومه أرجح من سابقه لأسباب، منها:

أولاً: جاء في سفر الخروج (١: ١١) عند الحديث عن استعباد فرعون لبني إسرائيل: "فَعَهَدُوا إِلَيْهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَّاً"

---

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus", vol. II, p. 702.

(2) Encyclopedia Judaica, (CD-ROM Edition), "Exodus".

لِيُسْخَرُوْهُم بِالْأَعْمَالِ الشَّاقِةِ. فَبَنَوْا مَدِيْتَنِي فِي شُومَ وَرَعْمَسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ". وـ«رمسيس» هذه مدينة على الدلتا الشرقية بناها «رمسيس الثاني» فسميت باسمه؛ وهي التي كان منها خروجبني إسرائيل بنص سفر الخروج (١٢: ٣٧). وـ«رمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م تقريرًا، وعليه فلا يمكن أن يكون الخروج من مصر سابقاً لبداية حكم رمسيس الثاني، أعني ١٢٧٩ قبل الميلاد.

ثانياً: باستعراض مدد حكم الفراعنة كما تقدّمها الدراسات التاريخية/الأثرية، يتبيّن لنا طول مدة حكم «رمسيس الثاني»، وهو ما لم يتأتّ لابنه «مرنبتاح» الذي حكم عشر سنين فقط؛ وهذا يستفاد من قول الله تعالى على لسان فرعون وهو يمتن على موسى عليه السلام: «قَالَ أَلَمْ نُرِيكَ فِيْنَا وَلِيْدَا وَلَيْشَتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعَلَّتَ أَلَّيْ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٠ فَقَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْتَحِنَّ عَلَى أَنْ عَبَدَتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٢٢» [الشعراء: ١٨-٢٢]. ففيه إشارة إلى أن فرعون الذي تربى موسى عليه السلام في بلاطه هو فرعون الذي استعبدبني إسرائيل، وهو فرعون الذي استحق العقاب بالغرق؛ خلافاً للعهد القديم الذي يجعلهما فرعونين

اثنين؛ علىَّا بأن جل علماء أهل الكتاب القائلين بتأخر تاريخ الخروج من مصر يرون أن فرعون الاستعباد هو «رمسيس الثاني».

ثالثاً: عُرف «رمسيس الثاني» من بين فراعنة مصر بكثرة بناء الصروح والمعلام والتماثيل، حتى وصفه «كليتون» Clayton بقوله: "يقف رمسيس الثاني علىَّا من بين فراعنة مصر كبناء للمعالم والنصب".<sup>(١)</sup> تؤكد هذا الموسوعة البريطانية بقولها: "يعرف بمشاريعه المعمارية الواسعة".<sup>(٢)</sup> وهذا أيضاً يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْدِمْنَ أَبْنِي لِي صَرَحاً لَّعَلِيَّ أَتَلْعَلُّ أَلْأَسْبَدَ﴾ [غافر: ٣٦]؛ وقوله جل شأنه: ﴿وَدَمَرَنَا مَا كَانَ يَصْبَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ, وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أخيراً، نجد «قاموس آنكور الكتابي» يختتم بحثه في تاريخ خروجبني إسرائيل من مصر بقوله: "باختصار، فإن أرجح تاريخ خروج العبرانيين [بني إسرائيل] من مصر يقع في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد".<sup>(٣)</sup>

- 
- (1) P. A. Clayton, Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994), pp. 153.  
(2) Encyclopaedia Britannica, "Ramses II".  
(3) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus".

وإذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢١٣-١٢٧٩ ق.م، أماكتنا القول بكل ثقة بأن فرعون موسى عليه السلام هو «رعمسيس الثاني» إذ لم يشاركه حكم مصر أحد في متتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وهذا ما نص عليه تفسير الكتاب المقدس المعروف باسم The NIV Study Bible الثاني». <sup>(١)</sup>

بناءً على ما سبق فإن موسى عليه السلام عاش في متتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ مطابق تمام المطابقة لما اشترطه أخنونخ من ظهوره في نهاية الأسبوع الرابع لبدء الخليقة. وإنما أطلت الحديث عن تحديد فرعون الخروج ومن ثم ظهور موسى عليه السلام للحاجة إليه فيما بعد فيستغنى ببيانه هنا.

يلحظ القارئ فيما سبق أننا تمكنا من تفسير النص بيسر بالغ عندما قسمنا الأسبوع الواحد إلى سبعة قرون أو ٧٠٠ عام، فجاءت الأحداث في موضعها على الخط الزمني دون تكلف أو تعسف. كما أن تفسيرنا للأحداث والأشخاص يكاد يكون محل إجماع عند علماء

---

(1) The NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995), p. 287.

أهل الكتاب. ولكن ليس الحال كذلك فيما تبقى من النص كما سنرى، والسبب في ذلك سيتجلى للقارئ في حينه.

٧. وبعدئذ، في الأسبوع الخامس، في منتهاه، يُبنى بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

نحن هنا بين عامي ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ من بدء خلق آدم العقلاء (الموافق لـ ١٢٠٠ - ٥٠٠ ق.م). أما "بيت المجد والملكوت" فهو "بيت المقدس" أو "الهيكل" كما يسميه اليهود، ولا أعلم أحداً من أهل الكتاب المعتبرين خالف في ذلك. لكن موطن الخلاف هو أي الهيكلين أراد؟ هل أراد به بناء «الهيكل الأول» على يد سليمان العقلاء في القرن العاشر ق.م، أم بناء «الهيكل الثاني» عام ٥٢٠ - ٥١٥ ق.م؟

لنفترض جدلاً أنه البناء الأول أو «الهيكل الأول» كما يسميه اليهود - وهو الرأي الذي ذهب إليه رتشارد لورنس<sup>(١)</sup> - فكم سيكون بين ذلك البناء وبين موسى العقلاء الذي هو حديث الأسبوع الرابع؟ لقد امتد ملك سليمان العقلاء كما تقدره المصادر بين ٩٣٠ - ٩٧٠ ق.م، أي بعد وفاة موسى العقلاء بثلاثمائة (٣٠٠) عام تقريرياً على ما رجحناه

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet, p. 139.

من زمن ظهور موسى عليه السلام، وهذا أقل من نصف المدة التي يشترطها سفر أخنون وهي ٧٠٠ عام؛ فإنه جعل أحداث الأسبوع الرابع في مطلعه وهو هنا يشترط نفس الشيء، فدل على أن ما بينهما أسبوع أو ٧٠٠ عام تقريباً.

لكن قائلاً قد يقول: إنك إنما بنيت حسابك على ما زعمت أنها التواريХ الصحيحـة لخروج بنـي إسرـائيل وهذا من التـحكم، ولو أعملـت حـسابات عـلماء أـهل الـكتـاب لما وقـع هـذا التـناـقضـ.

أقول: إن علماء أهل الكتاب - كما فعلـنا - مختلفـون أـشد الاختـلافـ في تحـديد زـمن خـروج بنـي إسرـائيل من مصرـ على ما هو مـعلوم عندـ أـهل الاختـصاصـ، فـمـنـهمـ من جـعـلهـ عـامـ ١٤٤٦ قـ.ـمـ، وـمـنـهمـ من سـلـمـ بـأنـ الخـروـجـ كانـ بـعـدـ هـذـاـ التـارـيخـ بـمـائـيـ عـامـ عـلـىـ الأـقـلـ كما صـنـعـ كـثـيرـ مـنـ عـلـمـاءـ أـهـلـ الـكـتـابـ، مـنـ أـشـهـرـهـمـ عـالـمـ الـآـثارـ «وـيلـيـامـ أولـبرـايـتـ».<sup>(١)</sup>

---

(1) William F. Albright, From The Stone Age To Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957), 256.

أما اليهودية الحاخامية فتأخذ بقويم «سِدْر عوَلَام رِبَّاه» (تقويم العالم العظيم) الذي يحدد الخروج من مصر بـ ٢٤٤٨ عاماً منذ خلق آدم الصلوة، أي في عام ١٥٥٢ ق.م تقريراً إذا ما اعتمدنا تواريخ النسخة المسورية للعهد القديم التي تجعل خلق آدم الصلوة قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام. وهذا التحديد للخروج من مصر سيجعل الفرق بينه وبين بناء الهيكل الأول ستةائة عام ونيفاً، وهو وإن اتفق إلى حد كبير مع اشتراط أخنونخ في رؤياه، إلا أنه يناقض صراحةً نص كتابهم، إذ يحدّثنا سفر الملوك الأول (٦: ١) قائلاً: «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِائَةٍ وَالثَّانِيَنَ خُرُوجٌ بَنْيِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلَّهِ سُلَيْمانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُّو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ». فنصّ كتابهم على أن ما بين الخروج إلى بناء الهيكل الأول ٤٨٠ سنة، وهو حجة عليهم.

أما إذا اعتبرنا بداية الخلق عام ٣٧٥١ ق.م كما هو تقدير «سِدْر عوَلَام رِبَّاه» أو عام ٣٧٦١ ق.م وفقاً للتقويم اليهودي الحالي، فإن خروجبني إسرائيل من مصر سيكون عام ١٣١٤ ق.م تقريراً، وهو تقدير بين التقديرتين الشائعتين لزمن الخروج، فلا هو اتفق مع حسابات النسخة المسورية العبرانية، ولا هو اتسق مع الأبحاث التاريخية/ الأثرية.

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة حسابات من زعم أن الخروج من مصر كان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد - وهو خطأ مخض - فنحن أمام معضلة أخرى وهي تقاصر المدة بين إبراهيم ال عليه السلام وموسى عليه السلام حتى تصير إلى خمسائة عام.

ونحن لو تبعينا الخط الزمني كما صوره أخنوخ، بغض النظر عن تفاصيل الأحداث، فإننا سنجد أن نهاية الأسبوع الخامس تكون عند عام ٣٥٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام وهو ما يوافق السنة ٥٠٠ ق.م، فإن كان ثمة بناء للهيكل في نهاية الأسبوع السادس فهو البناء الثاني بلا ريب، وقد تم ذلك على يد العائدين من السبي البابلي بين عامي ٥١٥ - ٥٢٠ ق.م وهذا الهيكل هو المعروف باهيكـل الثاني The Second Temple كما سيتضح جلياً مما بقي من الرؤيا.

أما وصف أخنوخ بناء بيت المجد والملكون بقوله "إلى الأبد" فلعل المراد به أنه لن يزول زوالاً تاماً، أما إحراقه أو هدم أجزاء منه فقد حدث بالفعل كما تبينه الفقرة التالية.

٨. وبعدئذ، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عميّاً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة؛ وفيه يصعد

إنسان. وفي متاهه يُحرق بيت الملوك، وكل نسل الأصل المختار سينتشتت.

يسرع أخنوخ في الحديث عن الأسبوع السادس الذي يمتد بين عامي ٣٥٠٠-٤٢٠٠ من ذ خلق آدم الله (الموافق لـ ٥٠٠ ق.م.- ٢٠٠ م)، فيصف أحداثاً "فيه" وأحداثاً "في متاهه". فأما الأحداث التي في أثناء الأسبوع دون تحديد لزمن فيشملها قوله: "كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة". فإن اليهود عقب عودتهم إلى فلسطين بعد أن سباهم بختنصر البابلي أخرج لهم «عزرا» ديناً مولداً هجينًا يجمع بينوثنية الفرس والبابليين ودين موسى الله، وعلى أساس هذا الدين قام الهيكل الثاني. يقول حزقيال، الإصلاح الثامن، واصفًا حال «الهيكل الثاني» وسنته وشيوخه والمُصلّين فيه بعد السبي البابلي:

فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَّانَاتِ  
وَالْبَهَائِمِ النَّجَسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةُ  
عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُذْرَانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً  
مِنْ شُيوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ ... وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِحْرَرَتُهُ  
تَتَصَاعِدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِيرَةٌ مِنَ الْبَخُورِ ... ثُمَّ أَخْضَرَنِي [ملاك

الرب أو نحوه] إلى المدخل الشمالي لِيَوَابَةِ هِيَكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا  
هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبُنَ تَمُورَ... ثُمَّ أَخْضَرَ فِي إِلَى الْفِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ  
الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هِيَكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرُّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ  
خَسْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ هِيَكَلِ الرَّبِّ، وَأَنْجَهُوا  
بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ.

وهذه كلها من مظاهر عبادة الشمس التي كانت منتشرة في أرض بابل فدخلت في عقائد اليهود. يقول «قاموس آنكور الكتابي»: "بقيَت عبادةُ الشمس بعد السبي واحدةً من العبادات الوثنية الأكثر شيوعاً بين يهود فلسطين كما تشهد بذلك المصادر الخارجية... لقد صرُفت بعض الصفات التي كانت تخص الشمس المؤلهة إلى يهوه [معبد اليهود] الذي اكتسب بذلك مظهراً شمسيّاً."

ثم يضيف: "إن عدداً من العلماء يرى أن الهيكل في أورشليم صُمم كمركز لعبادة الشمس حيث يُعبد الرب كإله شمس..."<sup>(١)</sup>. وقد فصلت في تأثير الوثنية الفارسية/ البابلية على يهود ما بعد السبي في غير هذا الموضوع فلا حاجة لإعادته.<sup>(٢)</sup>

(١) Anchor Bible Dictionary, "Sun".

(٢) أنظر كتاب: اليهوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، (الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤١٣هـ / ٢٠١٠م) ص ٣٩-٥٣.

المقصود أن بني إسرائيل حادوا عن منهج الأنبياء إلا من رحم الله منهم، وتولى كبر هذا الكفر منهم طائفة الفريسيين إلى زمن عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد سجل العهد الجديد موقفهم من نبوة المسيح الظاهر وعدائهم لرسالته وتأمرهم على قتله وصلبه، لكن الله نجاه منهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَطَنَا مُسِيحًا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُيَّهُهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا ﴾<sup>١٥٧</sup> ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨-١٥٧].

هذه الحقيقة التي لا لبس فيها عند أهل الإسلام هي التي أقرها سفر أخنون بقوله عن المسيح الظاهر: "وَفِيهِ يَصْعُدُ إِنْسَانٌ"، فهو أولًا "إِنْسَانٌ" وليس إِلَهًا أو ابْنًا لِلإِلَهِ، ثم إن الكاتب اكتفى بذكر الصعود إلى السماء فلم يذكر قتلاً ولا صلباً. وهاتان مسألتان - أعني بشرية المسيح الظاهر وعدم صلبه - خالف فيها النصارى أهل الإسلام، وهذا هو أخنون يشهد فيها لأهل الإسلام. وقد زعم بعض شراح أهل الكتاب أن المقصود بالإنسان في الفقرة «إيليا»، وهو قول مردود كما سأبّينه في حينه.

تلك هي الأحداث التي "في" الأسبوع، أما التي "في متاهه" فقوله: "وفي متاهه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت".

أما "بيت الملكوت" فهو بيت المقدس (أو الهيكل الثاني) كما تقدم. وقد يقول قائل: إن الهيكل الأول أحرق كذلك على يد بختنصر البابلي فلم رجحت دون مرجح؟

فأقول: إن الرزعم بأنه الهيكل الأول بعيد كل البعد كما سبق، فإن الهيكل الأول بني زمن سليمان الله في أثناء مملكته (٩٣٠ - ٩٧٠ ق.م تقريباً) ولم يكن ذلك في متاهي الأسبوع الخامس كما يشترط سفر أخنونخ بل في نصفه الأول. وكان تدمير الهيكل وحرقه في ٥٨٧ ق.م أي قبل دخول الأسبوع السادس أصلاً، علماً أن النص يشترط أن يكون البناء والإحراق في متاهي الأسبوعين الخامس وال السادس على التوالي، فكيف تكون الإشارة إلى التدمير الأول؟

فإن قال قائل: إن ما بين بناء الهيكل الأول وبين هدمه من الزمان هو مقياس طول الأسبوع في رؤيا أخنونخ، على خلاف ما انتهجهتم. قلنا: بناء الهيكل كان في ٩٦٧ ق.م تقريباً، وإحراقه كان في

٥٨٦ ق.م وبينهما كما هو ظاهر ٣٨١ عاماً فقط، فهل هذه هي مدة "الأسبوع" في رؤيا أخنونخ؟! إن هذا يعني أن ما بين ميلاد أخنونخ الذي ولد في متى الأسبوع الأول وإبراهيم النبي الذي عاش في متى الأسبوع الثالث ٧٦٢ عاماً فقط (أسبوعين)! وهذا من الوهم، فإن بينهما ضعف هذا العدد من السنين على ما قرره علماء أهل الكتاب أنفسهم.

فتبيّن بذلك أن المقصود بالهيكل في الأسبوعين الخامس والسادس هو «الهيكل الثاني» الذي بناه اليهود برعاية من الفرس بعد أن عادوا من السبي البابلي. وعليه فيبطل زعم من زعم أن "الإنسان" الذي "يصعد" في هذه الفقرة هو نبي الله «إيليا» (إلياس النبي) وليس المسيح النبي، فإن بينهما عقوداً.

هذا فيما يتعلّق بالحدث الأول في متى الأسبوع السادس، أما الحدث الثاني فهو أن "كل نسل الأصل المختار سيتشرّط". وهو إشارة إلى شتات اليهود في القرن الأول الميلادي لا سببهم على يد بختنصر. فإن اليهود لما ثاروا على الحكم الروماني بين عامي ٦٦ و١٣٦ م لأسباب مختلفة، انتهى الأمر بإحرق بيت المقدس وتدميره، وقتل منهم خلق كثير، وأخرجوا من القدس التي أصبحت تسمى «إيليا كابيتولينا»؛

وتَفَرَّقَ اليهود في أنحاء إفريقيا وأسيا وأوروبا، وهو ما يعرف باسم الـ «دياسبورا» أي «الشتات». وهذه الأحداث تنتهي بنهاية الأسبوع السادس.

٩. وبعدئذ، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

بعد أن تسلط الروم على بني إسرائيل واضطهد من كان على دين المسيح صلوات الله وآمين، اندرس الدين وقام جيل مرتد كافر بالله صلوات الله وآمين يعبد الأصنام ويأكل الميتة ويأتي الفواحش ويقطع الأرحام؛ ولم يبق على التوحيد إلا قليل من أهل الكتاب. قال صلوات الله وآمين كما في صحيح مسلم: "وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ عَرَبَّهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَائِمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" من تمسكوا بدین الأنبياء إلى أن بعث الله سيد الخلق محمدًا صلوات الله وآمين.

١٠. وفي متهاه، يصطفى الصفوـة الأبرار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

هنا تتشعر الجلود، وتخفق القلوب، وتذرف العيون، ويقف المرء مشدوهاً ما عساه يقول. إن أخنوخ الذي يحدث بنيه عن "بني البر، وصفوة الخلق، وغراس الاستقامة" ينتهي بنا إلى مشهد جليل

فيقول: "وفي متاهه" أي متهى الأسبوع السابع "يُصطفى الصفوه الأبرار من غراس البر الأبدية". ومن هم الصفوه الأبرار إلا محمد ﷺ وأمته؟ الذين دك الله بهم صروح الكفر، وتضعضع لهم جباره الروم والفرس، وبلغ ملكهم مشارق الأرض ومغاربها، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوِيَ لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلْغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَيَّضَ".<sup>(١)</sup>

الله أكبر! إنه - والله - لشرف الدهر أن تكون من أتباع المصطفى ﷺ.

ومما زادني شرفاً وتيهاً  
وكدت بأخصي أطا الشريا  
دخولى تحت قولك (يا عبادي)  
وأن صيرت أحمد لي نبياً

إنه صفوة الخلق كما قال عن نفسه: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرْيَشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرْيَشٍ بَنِي هَاشِيمَ وَاصْطَفَهُ مِنْ بَنِي هَاشِيمٍ".<sup>(٢)</sup> إنه من نسل أبيه إبراهيم ﷺ الذي اصطفاه الله في الأسبوع الثالث من الرؤيا ليكون غراساً للبر، وتكون ذريته غراس البر إلى الأبد. فكانت النبوة في ذريته

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشاراط الساعة، حديث رقم ٢٨٨٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٧٦.

من إسحاق عليه السلام حتى ختمت برفع المسيح عليه السلام. ثم جعلها الله في ذرية إبراهيم عليه السلام من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام فكانت رسالة الإسلام الخالدة التي نسخت كل ما قبلها من الرسالات.

وقد علق «جون كولينز» على هذه الفقرة بقوله:

في رؤيا الأسابيع الأخنوية، تأتي نقطة التحول باختيار الصفة الأبرار في الأسبوع السابع الذي يأتي مباشرة في أعقاب تدمير الهيكل. هذا الأسبوع يقطنه "جيل كافر". بل إن الهيكل الثاني [بيت المقدس] لا يُعترف به هنا، فيبدو من المطمئن أن نستنبط أن "الصفوة الأبرار" قد صُرِفوَ عنه.<sup>(1)</sup>

قلت: هذا استنباط ذكي جداً، وهو حق؛ لكنهم لم يصرفوا عن بيت المقدس بعدة ولا بعتاد، وإنما صرفوا عنه بوحي من الله تعالى؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَلَّى تَحْوِيَّتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

---

(1) John Collins. *Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism* (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 267.

﴿فَدَرَى تَقْلِبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِبْلَةَ تَرَضَنَّهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] فوجّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلُ الْعَصْرِ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهُدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ.﴾<sup>(١)</sup>

وبالرغم من أن ذكاء «كولينز» لم يهدِه إلى الإقرار بأن صفة الأبرار هم أتباع محمد ﷺ، إلا أنه يضيف قائلاً:

لقد أعطوا «سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لـكل خلقه» - باختصار، إنهم ينعمون بـspecial revelation . إن ظهور «الصفوة الأبرار» هو في حد ذاته ذروة التاريخ.<sup>(٢)</sup>

فمن معاني قول أخنونخ: "لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لـكل خلقه" مضاعفة الله هذه الأمة في الفضل والأجر، فقد أرسل الله إليها خير رسليه، وأنزل عليه أفضل كتبه. قال الحسن البصري - رحمه الله - : "أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاديث، حديث رقم ٦٨٢٥.

(٢) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism, p. 267.

الأربعة الفرقان ...".<sup>(١)</sup> فهو كما قال «كولينز» "وحي فريد".

كما ضاعف الله لهذه الأمة أجور أعمالهم فرضي منهم باليسير وأثابهم عليها بالأجر الجزيل كما في الصلوات الخمس، فإنها خمس في العدد لكنها خسون في الأجر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرْجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَّا لَا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ. فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَّالًا وَأَقْلَعَطَاءً! قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ.<sup>(٢)</sup>

فتبيّن لكل قارئ منصف باحث عن الحق أن المصطفين الأبرار في الأسبوع السابع هم أتباع رسالة الإسلام الخالدة الذين جعلهم الله شهوداً على من سبقهم من الأمم كما قال في كتابه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٧ / ١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم ٢١٤٩.

[البقرة: ١٤٣] وقال أيضاً: «هُوَ أَجْتَبَنَّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قِلَّةٌ أَيْكُمْ لِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الزَّكُوْةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَا فَنَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ» [الحج: ٧٨].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "يُدعى نوح يوم القيمة فيقول لبيك وسعدتك يا رب! فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغتم؟ فيقولون: ما أثنا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ..."<sup>(١)</sup> الحديث.

فلا غرو أن جاء في النسخة الآرامية من الرؤيا: "وفي متها، يصطفى الصفوه الأبرار ليكونوا شهود البر من غراس البر الأبدية".<sup>(٢)</sup>

وانظر إليها الباحث عن الحق كيف تحدث أخنوخ عن أربعة من أولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٢١٧.

(٢) Otto Neugebauer, et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985), p. 86.

ثم ختم ذلك بحديث مطابق لحال أمة محمد ﷺ في الزمان والصفة، ومحمد ﷺ هو الخامس من أولي العزم المذكورين في آياتي الأحزاب والشورى، فكان في ذلك مزيد إشارة إلى المقصود.

فإن قال قائل: إن حمداً [عَلَيْهِ السَّلَامُ] لم يتبأ في متتهي الأسبوع السابع وإنما في المائة الخامسة منه.

قلنا: هذا من التعتت الواضح؛ فإن القرن الخامس في سبعة قرون هو في المتتهي؛ ومع ذلك فإن النص لم يقل: "وفي متتهاه، يصطفي إنسان" كما قال عن إبراهيم عليه السلام، وإنما جعل الاصطفاء لأمة بأسرها فقال: "يصطفي الصفوه الأبرار من غراس البر الأبدية"،وها هي أمة الإسلام لا تزال قائمة، بل إنه ما انقضى الأسبوع السابع (٩٠٠ م) حتى نشروا الإسلام في المشرق والمغرب.

وقد ضربت صفحات عما بقي من النص لثلاثة أسباب المحت إليها سلفاً، أوها: أن إلحاقي تلك الفقرات بهذه الرؤيا هو موضوع خلاف بين علماء أهل الكتاب. ثانياً: يعتبر بعض العلماء تلك الفقرات من قبيل ما يسمى «ما وراء التاريخ» الذي يصعب القطع بمعانيه، وقد يعده البعض الآخر من الأساطير لا التاريخ، فاستفراغ

الجهد في تأويل ما أحسن أحواله الظن مع وجود القطعي ليس من الحكمة في شيء. ثالثاً: وهو الأهم، أن تلك الفقرات لا تعنينا كثيراً في هذا البحث، فليس من همتني أن أزيد على إثبات نبوة المصطفى ﷺ وصدق رسالته، ففي هذا المبلغ صلاح الدنيا والآخرة لمن أراد اتباعه، فأغنى عنها سواه.

\* \* \*

## «رؤيا إبراهيم»

سفر «رؤيا إبراهيم»<sup>(1)</sup> هو أحد الأسفار المنحولة التي كتبت في القرن الأول الميلادي.<sup>(1)</sup> يقول ريزارد روبنكيفيتس: «إن «رؤيا إبراهيم»، بأصلها الفلسطيني، وتأريخ كتابتها المبكر، وتراثها المشترك مع سفر أخنوخ الأول، وارتباطها بكتابات العهد الجديد؛ لتجد لنفسها مكاناً بين أهم الأعمال في العالم اليهودي في القرن الأول الميلادي». <sup>(2)</sup>

وعلى الرغم من أن أكثر العلماء يذهب إلى أن أصل الرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية، إلا أن أقدم النسخ الموجودة بين أيدينا إنما كتبت باللغة السلافية القديمة.

تُستهل الرؤيا بالحديث عن إبراهيم القديس و هدايته و اصطفائه من قوم يعبدون الأصنام، و تختتم بالحديث عن الرؤيا التي هي موضوع دراستنا. و علماء أهل الكتاب يكادون يجمعون على تفسير الخطوط

(1) James H. Charlesworth. *The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament* (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998), p. 32.

(2) *The Anchor Bible Dictionary*, "Abraham, Apocalypse of" vol. I, p. 43.

العريضة للرؤيا، لكن التفاصيل هي محل الخلاف، لا سيما ما يتعلق بأحداث الساعة الثانية عشرة في آخر الزمان، وسيأتي بيان ذلك من خلال تفسير النص.

### نص الرؤيا وتفسيره:

رأى إبراهيم عليه السلام من بين ما رأى صورة قد سُطرت فيها أعمال العباد وما هم صانعون، وقد قُسّم الخلق فيها إلى ميمونة وميسرة، فتساءل:

٢٢ . أيها الأبدى القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين ولدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وأخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

يسأل إبراهيم عليه السلام في هذه الفقرة ربها عما يراه من فتتین ماثلتین في الصورة إحداهما في الشمال والأخرى في اليمين. فيجيبه الله بأن التي

في الشمال هي كل البشر منذ بدء الخليقة إلى نهايتها. منهم من يكون من أهل السعادة و منهم من يكون من أهل الشقاوة. أما الفئة التي في يمين الصورة فهم بنو إسرائيل الذين من نسل إبراهيم الظليل من جهة يعقوب الظليل، فهم «شعب الرب» كما يزعمون. ولا شك أن بني إسرائيل **فضلوا على غيرهم من أهل زمانهم.**

يلحظ القارئ في النص تقسيم البشر إلى الشعب المختار وإلى غيرهم من الأمم. ولم أر من الشرح من خالف في أن المقصود هم "اليهود" و "غير اليهود". لكن الإشكال في وصف غير اليهود بالـ "وثنيين"، على أن الفقرة أعلاه تصرح بأن الذين في ناحية الشمال من الصورة منهم البر "من كتب له الحكم والصلاح"، ومنهم الفاجر الذي كتب عليه "الانتقام والمحق في آخر الزمان". وبما أن النص الأصلي للرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية فإن الكلمة المستعملة هي «جويم» أو «عَمَّا» على التوالي. وكلتا الكلمتين لا تعني أكثر من "الأمم"، وإنما اكتسبت معنى "وثنيين" لأن اليهود عدوا كل من سواهم وثانياً لذا نجد بعض مترجمي الرؤيا يستعمل العبارة الإنجليزية (the heathen) التي تعني «الأمم» وبعضهم يستعمل (nations) وتعني «الوثنيين» لإيصال المعنى المراد. وقد آثرت أن أستعمل في

ترجمتي كلمة «الأميين» لأكون أدق في ترجمة الأصل مع عدم إغفال الجانب العنصري في الكلمة.

"حتى بعض أولئك الذين من عزازيل". عزازيل يمثل الشيطان أو إبليس أو الجن عموماً. والمقصود في الفقرة - والله أعلم - أن بعض من كان في الصورة كانوا من الجن الذين هم من ولد إبليس، كما قال شيخ الإسلام "الشياطين هم مَرَدُّ الإنس والجن، وجميع الجن ولد إبليس والله أعلم" <sup>(١)</sup> وسيأتي لهذا مزيد بيان.

٢٥. ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبوح بين يدي الصنم.

أما «صنم الغيرة» أو «تمثال الغيرة» ("سيِّمل هَكْنَاه" في النص العبراني) فقد جاء ذكره في موضوعين من سفر حزقيال عند حديثه عن تسلل عبادة الوثنين إلى داخل الهيكل الثاني بعد السبي البابلي. يقول حزقيال:

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥ / ٧.

وَحَلَقَ بِرُوحٍ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَخْضَرَ فِي رُؤْيَى اللَّهِ  
إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى مَذْلَلِ الْبَوَابَةِ الشَّمَائِيلَةِ لِلسَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ،  
حَيْثُ يَنْتَصِبُ التَّمَاثُلُ الْمُثِيرُ لِلْغَيْرَةِ. فَإِذَا بِمَجْدِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ  
حَالٌ هُنَاكَ كَمَا كَانَ حَالًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِي السَّهْلِ.  
ثُمَّ خَاطَبَنِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، اتَّقِتِ الآنَ نَحْوَ الشَّمَاءِ». فَاتَّقَتُ  
وَإِذَا بِي أَرَى مِنْ شَمَائِيلَ بَابِ الْمُذَبِّحِ تِئَالَ الْغَيْرَةِ هَذَا مُتَّصِبًا فِي  
الْمَذْلَلِ. وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ شَاهَدْتَ مَا يَرْتَكِبُونَ: هَذِهِ  
الرَّجَاسَاتِ الْفَظِيْعَةِ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ لِيُبَعِّدُونِي  
عَنْ مَقْدِسِي؟ وَلَكِنِ انتَظِرْ، فَلَا تَلْبِثُ أَنْ تَشَهَّدَ أَرْجَاسًا  
أَفْظَعَ». [حزقيال ٨: ٣-١٣]

وكان هذا الصنم يمثل إلهة الشمس «عشتار» التي هي من آلهة المحرانيين؛ ولذا قال هنا: "كذاك الذي اعتاد أبي صنعه" يعني في بلاد العراق. أما الرجل الذي يقدم القرابين للصنم فهو «منسى» كما سيأتي.

فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القرابان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسنَ الصنع والصورة، حُسْنَه كذاك الذي تحت عرشك؟

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسناته، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهنوتاً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلـي، وأولئك شهدوا على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ..."

فالبناء العظيم هو الهيكل الأول، أما الذي ينصب تمثال الغيرة - عشتار - في الهيكل فهو ملك اليهود «منسى» ويسير بسيرته ملوك آخرون من أمثال آمون ويهوياقيم ويهوياكين. وتفصيل هذه الفقرة من تدليس الهيكل وتقديم الغلمان قرابين نجده في سفر الملوك الثاني:

وَارْتَكَبَ [منسى] الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الْرَّبِّ، مُقْتَرِفاً رَجَاسَاتِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَادَ وَشَيَّدَ مَعَابِدَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا أَبُوهُ حَرَقِيَا، وَأَقَامَ مَذَابِحَ الْبَعْلِ، وَنَصَبَ تَمَاثِيلَ عَشْتَارُوتَ عَلَى غِرَارِ مَا صَنَعَ أَخَاحُ، وَسَجَدَ لِكَوَافِكِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَبَنَى مَذَابِحَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ: «فِي أُورُشَلِيمَ أَجَعَّلُ اسْمِي» ...

وَأَجَازَ ابْنَهُ فِي النَّارِ، وَرَصَدَ الْأَوْقَاتَ وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ  
وَالْعَرَافِينَ وَأَوْغَلَ فِي ارْتِكَابِ الشَّرِّ مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللَّهِ  
الرَّحِيمِ. وَنَصَبَ تِمثالَ عَشْتَارُوتَ الَّذِي صَنَعَهُ، فِي الْهِيْكَلِ  
الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ لِدَاؤَدَ وَسُلَيْمَانَ: «فِي هَذَا الْهِيْكَلِ، وَفِي  
أُورُشَلِيمَ التِّي اخْتَرْتُهُ مِنَ الْأَرْضِ، الَّتِي وَهَبْتُهَا لِأَبَائِهِمْ،  
أَجْعَلُ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ. فَإِذَا أَطَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كُلَّ مَا  
أَمْرَتُهُمْ بِهِ، وَطَبَّقُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا عَبْدِي مُوسَى،  
فَإِنَّنِي لَنْ أَزْعِزَ أَقْدَامَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِأَبَائِهِمْ».  
لَكِنَّهُمْ عَصَوْا، بَلْ أَصْلَهُمْ مَنَسَّى فَارْتَكَبُوا مَا هُوَ أَقْبَحُ مِمَّا  
تَرَكَبُهُ الْأُمُمُ الَّتِي طَرَدَهَا الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(١)</sup> ...  
وَزَادَ مَنَسَّى فَسَفَكَ دَمَ أَبْرِيَاءَ كَثِيرِينَ، حَتَّى مَلَأَ أُورُشَلِيمَ مِنْ  
أَقْصَاها إِلَى أَقْصَاها.

فَلَمَّا عَتَوا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ خَاطَبَهُمُ الرَّبُّ قَائِلاً:

لَاَنَّ مَنَسَّى مَلِكَ يَهُودًا اَقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمُؤِيقَاتِ، وَارْتَكَبَ

(١) في هذا النص إثبات أن حق بني إسرائيل في الأرض المقدسة لم يكن حقاً مطلقاً، بل كان مشروطاً بإقامتهم دين الله، فلما حادوا عن منهج الله نزع منهم ذلك الحق؛ وإنما يرث الأرض عباد الله الصالحون.

شُرُوراً أَشَدَّ فَطَاعَةً مِنْ شُرُورِ الْأَمْوَارِينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ،  
وَأَضَلَّ يَهُودَا فَجَعَلَهُ يَأْتُمُ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ  
إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرًّا عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُودَا، فَتَطْنَعُ  
أَذْنَا كُلَّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ، وَسَأُوقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابُ الَّذِي  
أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخَابَ وَنَسْلِهِ، وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنْ  
الْوُجُودِ كَمَا يُمْسِحُ الطَّبْقُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلِبُ عَلَى  
وَجْهِهِ لِيَحْفَفَ، وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِيَّ وَأَسْلَمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ،  
فَيُصِيبُونَ غَنِيَّةً وَأَسْرَى هُمْ.

وهذا ما تشير إليه الفقرة التالية من رؤيا إبراهيم عليه السلام:

٢٧. فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال  
قوم فُجَار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من  
قتلوا ومنهم من سُبوا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل،  
فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات.

فبسبب طغيانبني إسرائيل وعبادتهم آلهة الوثنين، سلط الله  
عليهم عدواً من ناحية الشمال (أي من غيربني إسرائيل) هم البابليون  
الوثنيون بقيادة «بختنصر». وهنا يبدأ «زمن الفجور» أي تسلط الكفرة

على بني إسرائيل عام ٥٦٨ ق.م كما سيأتي بيانه. وقد جاء وصف ما صنعه البابليون من استحلال الهيكل ونهب مقدساته وحرقه في سفر الملوك الثاني:

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَشَرَةَ  
مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نُبُوْخَذْنَاصَرَ مَلِكِ بَأِيلَ، قَدِمَ نُبُوْزَرَادَانُ  
قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ مِنْ بَأِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَخْرَقَ الْهِيْكَلَ  
وَقَضَرَ الْمَلِكَ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ.  
وَهَدَمَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ الْحَرَسِ  
الْمَلَكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى نُبُوْزَرَادَانُ بِقِيَةِ الشَّعْبِ  
الَّذِي بَقَى فِي الْمَدِينَةِ، وَاهْتَارِينَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَلِكِ بَأِيلَ  
وَسِوَاهُمْ مِنَ السُّكَّانِ ... وَحَطَمَ الْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمَدَةَ النُّحَاسِ  
وَبِرْكَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَأِيلَ.  
وَاسْتَوْلَوْا أَيْضًا عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَقَاصِ وَالصُّحُونِ  
وَجَمِيعِ آنِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخَدَمُ فِي الْهِيْكَلِ. وَكَذَلِكَ  
الْمُجَامِرِ وَالْمَنَاضِعِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ ذَهَبٍ أَخْذَهُ قَائِدُ  
الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ ...  
وَهَكَذَا سُبِّيَ شَعْبُ يَهُودَا مِنْ أَرْضِهِ.

فقلت: أَيُّهَا الْأَبْدِيُّ، هُوَ ذَا الْشَّعْبُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ نَسْلِي وَقَدْ رَضِيَّتْ عَنْهُ يَنْهِيهُ الْفَجَارُ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ وَمِنْهُمْ مَنْ سُبِّي لِيَكُونَ عَبْدًا، وَالْهِيْكُلُ قَدْ أَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَسْنٍ سُرْقَوْهُ وَدَمْرَوْهُ. إِنْ كَانَ هَذَا سِيكُونُ، فَلَمْ صَدَعْتْ قَلْبِي؟ فَقَالَ لِي: "مَا رَأَيْتَهُ سِيكُونَ بِسَبَبِ ذُرِيْتِكَ، أَوْ لِئَلَّا الَّذِي يَغْضِبُونِي بِتَمَثَالِ الصَّنْمِ الَّذِي رَأَيْتَ، وَبِسَبَبِ الْقَرْبَانِ الْبَشَرِيِّ فِي الصُّورَةِ، وَبِغَيْرِهِمْ فِي فَعْلِ الشَّرِّ وَمَكْرِهِمْ فِي الْهِيْكُلِ، فَكَمَا رَأَيْتَهُ سِيكُونَ."

هُنَا يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِيلُ الْرَّبُّ أَنْ يَرِيهِ مَا يَخْفَفُ بِهِ حَزْنُهُ مَا يَصِيبُ ذُرِيْتِهِ بِسَبَبِ مَا أَحْدَثَوْهُ مِنْ عِبَادَةِ لِلْأَوْثَانِ، فَيَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَأْتِرُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَيَنْتَهُونَ بِنَهْيِهِ.

فقلت: "أَيُّهَا الْأَبْدِيُّ الْقَادِرُ! لِتَنْصُرْفَ الْآنَ أَعْمَالَ الشَّرِّ هَذِهِ الَّتِي عَمِلْتَ كُفَّرًا، وَلَكِنْ أَرْنِي الَّذِينَ اتَّمَرُوا بِوَصَايَاكَ، بِأَعْمَالِ الْبَرِّ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ."

فَقَالَ لِي: "إِنْ أَيَّامَ الْبَرِّ تُرِى أَنْهَا طَأْتَ بِحَيَاةِ أَوْلَئِكَ الْحَكَامِ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ سِيقُومُونَ، الَّذِينَ خَلَقْتَهُمْ لِيَحْكُمُوا فِي أَزْمَنَةِ مُوقِّعَتِهِمْ. لَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّهُ سِيقُومُ مِنْهُمْ آخَرُونَ لَا يَهْمِهِمْ إِلَّا مَصَالِحُهُمْ، مِنْ نَمْطِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرْتَكْتَهُمْ."

٢٨ . فأجبت قائلاً: "أيها القادر تقدس سلطانك! هبني سؤلي وأرني، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أريته زماناً طويلاً؟".

فأراني حشدًا من شعبه وقال لي: "بسبيهم، في منازل أربع كما رأيت سأغتاظ منهم، وفيها سيتحقق عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة مائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأُمَّيْنِ، ولكن أيضاً ساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأُمَّيْنِ".

هذه الفقرة أشكلت على كثير من الشرائح بسبب اختلافهم في ترجمة الكلمة السلافية (schody). فذهب البعض إلى أن معناها "الجَمْع" كما صنع «كوليك»<sup>(١)</sup>؛ وأخرون آثروا ترجمتها بالـ "الأجيال"، وفريق ثالث زعموا أن المراد بها الـ "مدخل".<sup>(٢)</sup> لكن أحداً لا يخالف أن معنى الكلمة الأصلي هو "درجة" أو "منزلة".

لكتنا إذا أمعنا النظر في الفقرة نجد أن كلمة (schody) تأتي

---

(1) Alexander Kulik. Retroverting Slavonic Pseudepigraphy (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004), p. 30.

(2) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918), p 76.

لتعبر عن مرحلة زمنية، وهذا يستبعد ترجمة «كوليك» "وفي الجم  
الرابع هناك مائة عام" لأنها لا تناسب السياق ولا تحمل معنى مفيداً.  
وأما ترجمة «بوكس» "في أجيال أربعة" فإنها، على الرغم من احتمالها،  
ليست دقيقة.

والصواب - والله أعلم - أن النص يصور المدة التي بين السبي  
البابلي، الذي هو بداية زمن الفجور، إلى زمن الرحمة والعز على هيئة  
"درجاتٍ" أربع نزولاً (descents)، كل خطوة تتالف من مائة  
عام. وفي الدرجة الرابعة، أو المائة الرابعة، من الأسر البابلي سيصاب  
بنو إسرائيل بنكبة - أو "شر" كما في بعض الترجمات - بين الأميين  
(الوثنيين)، وسيستمر هذا الساعة من الدهر أو مائة عام. ونحن إذا  
نزلنا من السبي البابلي ٥٣٩-٥٨٦ ق.م أربع درجات فإننا سنصل  
إلى ما بين ١٢٩-١٨٦ ق.م فما هي "النكبة" التي أصابت اليهود في  
هذه المرحلة؟

في ١٧٥ ق.م جلس الطاغية السلوقي «أنطيوخس إيفانيس  
الرابع» على عرش الإمبراطورية السلوقية. وكان منهمكاً في حروبه  
مع المصريين. لكنه لما عاد ذات مرة، بعد أن أشيع أنه مات في إحدى  
المعارك، أُخبر بمحاولة انقلاب قام بها كبير كهنة اليهود الأسبق

«ياسون» الذي كان «أنطيوخس» قد عزله وعين مكانه «منلاوس»، فكانت النكبة على اليهود. يحدثنا سفر المكابيين الثاني قائلاً:

فلم بلغت الملك هذه الحوادث، اتهم اليهود بالانتهاك عليه؛ فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة [القدس] عنوة، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة، ويذبحوا المختبئين في البيوت. فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال النساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألفاً في المعركة، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى. ولم يكتف بذلك، بل اجترأ ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها، وكان دليلاً منلاوس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنسين، مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى ... وحمل أنطيوخس من الهيكل ألفاً وثمانين مئة قنطار، وبادر الرجوع إلى إنطاكيه، وقد خيل إليه كبرياً وتشامخ نفسه أنه يقطع البر بالسفن والبحر بالقدم! وترك عمالاً يراغمون الأمة، منهم فيلبس في أورشليم

وهو فريجي الأصل، وكان أشرس أخلاقاً من الذي نصبه، وأندرونكس في جرزم، وأيضاً منلاوس الذي كان أشد جوراً على الرعية من كليهما. ثم حمله ما كان عليه من المقت لرعايا اليهود، على أن أرسل أبلونيوس الرئيس البغيض في اثنين وعشرين ألف جندي، وأمره أن يذبح كل بالغ منهم ويبيع النساء والصبيان. فلما وفد إلى أورشليم أظهر السلام، وتربيص إلى يوم السبت المقدس، حتى إذا دخل اليهود في عطلتهم، أمر أصحابه بأن يتسلحوا، وذبح جميع الخارجين للتفرج، ثم اقتحم المدينة بالسلاح، وأهلك خلقاً كثيراً. [٢] مكابيين ٥.

ثم يتحدث الإصلاح التالي عن محاولة «أنطيوخس» طمس معالم اليهودية فيقول:

وبعد ذلك بيسير أرسل الملك شيئاً أثيناً، ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله، وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم [الإله اليوناني] زوس (Zeus) ... وامتلاً الهيكل عُهراً وقصوفاً ... وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت الشريعة عنها. ولم يكن لأحد أن يعيد السبت، ولا

يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً. وكانوا كل شهر، يوم مولد الملك، يساقون قسراً للتضحية، وفي عيد [الإله اليوناني] ديونيسيوس (Dionysius) يضطرون إلى الطواف إجلالاً له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالم أن يلزمو اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن من أبي أن يتخذ السنن اليونانية يُقتل، فذاقوا بذلك أمر البلاء. [٢ مكابيين ٦].

وإنما أوردت هذه الاقتباسات الطويلة نسبياً لبيان أن هذه "النكبة" التي أصابت اليهود في زمن الإمبراطور «أنطيوخس» لم تكن أمراً هيناً، بل هي جديرة بأن تكون النكبة المشار إليها في رؤيا إبراهيم التي نحن بصددها. فهي تزيد عن السبب البابلي في إكراه الناس على ترك دينهم واعتناق دين اليونان الوثنين.

غير أن الرؤيا تشير إلى أن هذه النكبة ستنتهي وسيعقبها مجد لليهود لساعة من الزمن، أي مائة عام كما مر بنا. يقول النص: "سيكونون في نكبة بين الأميّن، ولكن أيضًا لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأميّن". وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تلك النكبة على يد الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» قام المكابيُّون اليهود بثورتهم

ضد الإمبراطورية السلوقية، وأسسوا دولة الحشمونيين واستقل اليهود في فلسطين من عام 165 ق.م إلى عام 63 ق.م، أي 102 عام (ساعة من الدهر). وهذه هي الساعة التي عبر عنها النص بقوله "ولكن أيضاً ساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأمينين".

انقضت ساعة الرحمة والعز في عام 63 ق.م عندما غزت دولة الحشمونيين من قبل الروم، فتفككت ثم أصبحت تابعة للروم ولم تقم لليهود بعد قائمة، حتى أهليرو Dionysius اليهود العملاء حكموا فلسطين تبعاً للروم لا استقلالاً. وهكذا استؤنف زمن الفجور بعد أن عز اليهود ساعة من الدهر. فتساءل إبراهيم عليه السلام:

٢٩ . فقلت: أيها الأبدى! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأمينين وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

فزمن الفجور الذي بدأ بالسببي البابلي سيستمر اثنتي عشرة ساعة (أي 1200 عام) قبل أن يأتي الخلاص. هنا يخاطب رب إبراهيم ليتنبه إلى القادم ففيه الفرج الذي كان يتنتظره. قال له رب: **والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!**

[يقول إبراهيم:] فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأminor. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأminor، جموع غفيرة، وعبدته [أو "بجلته"].

إن هذا النص بحاجة إلى تأمل. فقد ذهب الكثرة الكاثرة من علماء أهل الكتاب إلى أنه وما بعده من إقحام النصارى وليس من أصل الرؤيا. يقول «روبرت هول» في دراسة له بعنوان «الإقحامات النصرانية في رؤيا إبراهيم»<sup>(1)</sup>: «منذ اكتشاف «رؤيا إبراهيم» ودارسوها يُخرجون كل الفقرات ٢٩: ٣-١١ باعتبارها تعليقاً نصرانياً». <sup>(1)</sup>

والسبب الداعي إلى فرضية الإقحام هذه ما ورد في وصف الرجل المخلص في الفقرة من أنه سيعبد من قبل كثير، وأنه سيؤذى من قبل اليهود (الذين من ناحية اليمين). لكن المحك الذي يحيد عنه شراح الرؤيا هو أن الرجل المخلص يخرج من غير اليهود، من ناحية الشمال كما يصرح النص. لهذا علق «بوكس» على الفقرة بقوله "واضح

(1) Robert G. Hall. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988), vol. 107, No. 1, pp. 107-110.

أن الرجل يراد به يسوع [عيسى ﷺ]. لكن ظهوره "عن شمال الأُمَّيْن" مثير للاستغراب!<sup>(١)</sup>

وأقول لـ «بوكس» ومن ذهب مذهبـه: القول بأن المقصود من هذه الفقرة «يسوع المسيح» باطل؛ لأن عيسى ﷺ لم يكن من الأُمَّيْن بل كان من بنـي إسرائـيل باتفاق الملـلـ. ولو أنـكم حين استـنكـرـتم خروـجه من بين الأُمَّيـنـ بـحـثـمـ في غير بنـي إسرائـيلـ لـوـجـدـتـمـ، ولـكـانـ أـقـرـبـ لـلـإـنـصـافـ. وـهـاـنـذـاـ أـقـوـلـ لـكـمـ مـنـ هـوـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ لـمـ يـمـنـعـكـمـ مـنـ ذـكـرـ اـسـمـهـ إـلـاـ كـتـهـانـ الـحـقـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُوا الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]. إنـهـذاـ المـخـلـصـ هوـ خـاتـمـ النـبـيـنـ، وـإـمـامـ الـمـتـقـيـنـ، وـرـحـمـةـ اللهـ لـلـعـالـمـيـنـ، محمد ﷺ؛ وـهـاـكـمـ الـأـدـلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ:

أولاً: لما سأـلـ إـبـراهـيمـ رـبـهـ عـنـ مـدـةـ سـاعـاتـ الـبـلـاءـ وـزـمـنـ الـفـجـورـ، أـجـابـهـ الـرـبـ: "اثـتـيـ عشرـةـ ساعـةـ كـتـبـتـ لـزـمـنـ الـفـجـورـ الـحـاضـرـ أـنـ يـتـسـلـطـ عـلـىـ الـأـمـيـنـ وـعـلـىـ ذـرـيـتكـ". وـزـمـنـ الـفـجـورـ كـمـاـ بـيـنـاـ يـبـدـأـ مـنـ تـسـلـطـ الـبـابـلـيـنـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ وـإـحـرـاقـ الـمـسـجـدـ الـأـقـصـىـ (الـهـيـكلـ الـأـوـلـ) عـاـمـ ٥٨٦ـ قـ.ـمـ وـالـسـاعـةـ فـيـ هـذـهـ الرـؤـياـ تـعـبـرـ عـنـ ١٠٠ـ عـاـمـ كـمـاـ

(1) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham, p 78.

تفسره الرؤيا نفسها. فإن أردنا أن نعلم زمن ظهور هذا الرجل المخلص فما علينا إلا أن نحسب ألفاً ومائتي عام (١٢٠٠ = اثنتا عشرة ساعة) من تاريخ بدء زمن الفجور؛ حينها سنجد أنفسنا تماماً عند عام ٦١٤م! والدنيا كلها تعلم أن بعثة المصطفى ﷺ كانت عام ٦١٠م أو ٦١١م بعد أربعين عاماً من مولده المبارك (٥٧٠م أو ٥٧١م)، وهذا الفرق اليسير جداً بين التاریخین مردہ إلى أن الرؤیا توظف الساعات (القرون) لحساب الزمن مما تتعدى معه الدقة، ولا أحسب أحداً يماري في هذا إلا أن يكون مكابرأً. وأين هذا من بعثة عیسیٰ ﷺ التي كانت قبل ذلك بستمائة عام؟

ثانياً: يظهر من الأحداث التي تستعرضها الرؤیا التركيز على النکبات التي أصابتبني إسرائیل في أثناء زمن الفجور؛ فكان من المنطق أن يكون المخلص لهم قادراً على نصرتهم وإلا لم يكن «فرجاً» كما تصفه الرؤیا. وعیسیٰ ﷺ لما دعابني إسرائیل إلى الله آمن به طائفہ وكفرت طائفہ، لكنه ما كان يملك من الشوکة ما يتصدی به لطغيان الروم وأعوانهم من اليهود الكفرة الذين حاولوا قتلہ فأنجاه الله منهم. وأما محمد ﷺ فزعزع الله به عروش الأکاسرة والقياصرة كما شهد بذلك أعداؤه قبل أتباعه. قال ابن کثير في تفسیر قول تعالیٰ: «فَامْنَأْتَ طَائِفَةً مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةً» [الصف: ١٤]:

أي: لما بلغ عيسى بن مریم ﷺ رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الخواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بها جاءهم به، وضلت طائفة فخررت عما جاءهم به، وجدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيمة - وغلت فيه طائفة من اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقةً وشيعةً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله؛ وسائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس؛ ومن قائل: إنه الله ... قوله: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك

بعثة محمد ﷺ. (١)

فمحمد ﷺ هو الذي أنقذ الله به أهل الأرض من كفر الكافرين وبطش الجبارين حتى صار أهل الإيمان فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة.  
ثالثاً: عيسى ﷺ - بزعم النصارى - لم يخلص البشر إلا باعتباره إلهًا أو ابنًا لله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - فلا يناسب وصفه بالرجل كما في هذه الرؤيا.

(١) تفسير ابن كثير، ٨/٨٦.

رابعاً: لم يكن المسيح صلوات الله عليه من "الأميين" بل من بنى إسرائيل. والرؤيا تصرح بخروج هذا الرجل من بين الأميين بل تؤكده أكثر من مرة. فتقول في أوله "يخرج عن شمال الأميين"، ثم تؤكده بوصفها له بـ"الفرج" الذي يهب الأميون للشعب الذي يكون من نسلك". فتحديد مخرج المخلص من الأميين ليس من سهو الكاتب، بل هو مما يعضد ما ذهبنا إليه من تحديد زمانه، وهنا تحديد جهته.

أخيراً: لفظ "عبدوه" في النص لا يعني العبادة الحقيقة وإنما التمجيل وتعلق القلب. يدل على ذلك ترجمة «كوليك» النقدية التي نقلت النص هكذا: "ومن رأيتهم يخرجون من ناحية الشمال من الصورة وأولئك الذين يبعدونه، معناه: أن كثيراً من الأميين سيعملقون به آمامهم". فلا حجة فيه إذن على أن المراد عيسى صلوات الله عليه.

بقي أمر مهم وهو أن عدداً من علماء أهل الكتاب أنكر أن يكون النص مقحماً من قبل النصارى. يقول أحد مترجمي الرؤيا إلى الإنجليزية «ريزارد روينكيفيتس» في المقال الذي كتبه لـ«قاموس آنكور الكتابي» بعنوان "رؤيا إبراهيم":

إن رؤيا إبراهيم ٢٩:٤-١٣ تبرز مشكلة من نوع خاص. فالماء عادة يفترض أن الرجل الذي "يخرج من الشمال، ناحية الأميين" ... يمثل شخصية يسوع. لذا زعم بعض النقاد أن هذه الفقرة من إقحام النصارى، أو لعلها "نظرة يهودية ليروع باعتباره رسولاً إلى الأميين" (EncJud ١:١٢٥ - ٢٧). لكن التحليل الدقيق للرؤيا يدلل على أصالتها وأنها "لا تتعلق بنظرة النصارى ليروع، بل تستدعي «الوحش» في رؤيا يوحننا ٤:١-١٣" (Hall ١٩٨٨). الرجل الأمي يمكن أن يمثل الإمبراطور الرومي.<sup>(١)</sup>

وكلام «روبنكيفيتس» هذا تعرف منه وتنكر. فزعمه أن الرجل الأمي يُذكّرنا بالوحش في رؤيا يوحننا أو أنه الإمبراطور الرومي، بعيد كل البعد؛ لأن الرؤيا صريحة في أن هذا الرجل سيكون مبعثه فرجاً لأهل الأرض لا مصدرًا لاضطهادهم وقمعهم.

أما قوله بـأصالة النص، فإن كان المقصود منه أن ينفي كون النص مصححاً بأكمله من قبل النصارى فهو كلام يؤيده فيه غيره من العلماء من أمثال «روبرت هول» وغيره، وهو كلام معقول، إذ لا حجة

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

لمن زعموا أنه مقدم إلا عجزهم عن تفسير النص بشكل يستقيم مع السياق. وما ذكرته أعلاه من مناسبته لحال محمد ﷺ ينفي هذا الزعم الذي لا يقوم على دليل. وأما التحريف الجزئي للنص فممكناً كما سأبينه بعد قليل.

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجّلوه.

هذا موقف اليهود من المبشر به في الرؤيا: فإن منهم من عاداه وهم الكثرة الكاثرة، ومنهم من بجله وأطاعه وهم قلة جداً.

من أمثلة الفريق الأول ما جاء في قصة صفية بنت حبي بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: كنتُ أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء فيبني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حبيبي ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانوا مع غروب الشمس. قالت: فأتيَا كائِنَ كسلانين ساقطين يمشيان اهْوَينِي. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلَيَّ واحد منها مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبي

ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتشتبه؟ قال: نعم! قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.<sup>(١)</sup>

بل تجاوز الأمر مجرد العداء إلى محاولة قتل المصطفى ﷺ كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خير أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سُمٌّ، فقال النبي ﷺ: اجتمعوا إلى من كان ها هنا من يهود! فجمعوا واله... ثم قال: هل أنت صادقٍ عن شيءٍ إن سألكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سُمًا؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك. قالوا: أردنا إِنْ كُنْتَ كاذبًا نُسْرِيْعُ وَإِنْ كُنْتَ نَيْسًا لَمْ يَضُرَّكَ.<sup>(٢)</sup>

وقد بقي أثر هذا السم إلى أن مات صلوات الله وسلامه عليه كما في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيره فهذا أوان وجدت انقطاعاً بهري من ذلك السم".<sup>(٣)</sup>

(١) سيرة ابن هشام، ٥١٩/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، حديث رقم ٢٩٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

كما حاول بنو النضير من اليهود اغتيال النبي ﷺ فأعلمته جبريل عليهما السلام وكان ذلك سبباً في جلائهم.

أما شتمهم أياه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فمعلوم؛ من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من أنه لام سار على بن أبي طالب برأيته إلىبني قريظة ودنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فرجع حتى لقي رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.<sup>(١)</sup>

وقد كانوا يشتمونه في أشعارهم كما صنع كعب بن الأشرف،  
وكانوا إذا سلموا عليه قالوا: "السام عليكم"<sup>(٢)</sup>، والسام هو الموت،  
وإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا! ورّوا فقالوا: "راعتنا" من الرعونة،<sup>(٣)</sup>  
وغيره كثير.

أما الفريق الثاني - أعني من صدق برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعه - فخير  
مثال عليه قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رواها

(۱) سیرہ ابن ہشام ۲/۲۳۴۔

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٦٨٣؛ وصحيح مسلم، كتاب السلام، حديث رقم ٢١٦٤.

(٣) تفسیر این کثیر، ۱ / ۳۲۵

البخاري في صحيحه من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال:

"بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال إني سألك عن ثلاث لا يعلمُهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواه؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرني بهن إنفًا جبريل. قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت؛ وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألكم بهشوني عندك. فجاءت اليهود ودخلت عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمُنا وابن أعلمُنا وأخيرُنا وابن آخرُنا. فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتُم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمدًا رسول الله. فقالوا: شرُنا وابن شرُنا، وقعوا فيه."<sup>(١)</sup>

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٥١.

ومن مشاهير من أسلم من اليهود السموأل بن يحيى المغربي  
صاحب كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود»، وسعيد بن الحسن  
الإسكندراني صاحب كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر ﷺ».

فهذا موقف اليهود من رسالة خاتم النبيين؛ منهم من عاداه  
وشتمه بل حاول قتله، وقليلون بجّلوه واتبعوا النور الذي أنزل  
معه.

وبيّنا كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه  
ووقف خلفه.

تُقسم «الموسوعة اليهودية» الشياطين إلى قسمين:  
«سعيّريم» و«شيديم»، ثم تُعرّف الـ «سعيّريم» بأنهم  
«مطابقون للجن الموجودين في غابات الجزيرة العربية  
وصحاريها ... وإلى هذه الفئة يتتمي عزازيل». <sup>(١)</sup> يؤيد هذا  
ما رجحه «قاموس آنكور الكتبي» من أن "فهم عزازيل"  
على أنه لقب لشخصية شيطانية هو أكثر الآراء معقولية. <sup>(٢)</sup>

---

(1) Jewish Encyclopedia (1906), p. "Demonology".

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Azazel" vol. I, 536.

وهناك الكثير من يرجح أنه إبليس ذاته.<sup>(١)</sup>

وهذه الأفهام قريبة مما يعتقد المسلمون في إبليس، فهو من الجن كما قال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» [الكهف: ٥٠]. أما كونه أصل الجن فقد وردت به آثار عن السلف؛ قال ابن جرير في تفسيره: "... عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قطّ، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس."<sup>(٢)</sup> وقد صاحب إسناده ابن كثير في تفسيره.<sup>(٣)</sup>

فالحديث عن عزازيل إذن هو حديث عن الجن، وتقبيله النبي الذي يُبعث في آخر الزمان ووقفه وراءه كناءة عن قبول الجن لدعوته. ويكتفي في بيان هذا قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نبيه عليه السلام: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَعِمُونَكَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِثُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ٦٦

(١) انظر على سبيل المثال:

Louis Herbert Gray. Mythology of All Races, 1931, p. 532.  
Rosemary Guiley. Encyclopedia of Angels, 2004, p. 61.  
Rabbi Leo Jung. Fallen Angels in Jewish, Christian and Mohammedan Literature, 2003, p. 61.

(٢) تفسير الطبرى، ١ / ٢٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١ / ١٨٧.

٤٠) مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ  
 ٤١) يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَأَمْنُوا بِهِ، يَغْفِر لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِنْ  
 عَذَابِ الْبَئْرِ ٤٢) وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ  
 دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴿﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

كما فصل الله كلام الجن في سورة سميت باسمهم فقال تعالى:  
 ١) «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفْرٌ مِنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَباً  
 يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ٢) وَأَنَّهُ تَعْلَمَ جَدًّا رَبَّنَا مَا  
 أَخَذَ صَدِيقَةً وَلَا ولَدًا» [الجن: ١-٣] إلى أن قال جل شأنه على لسان  
 الجن: «وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا أَهْدَىءَ أَمَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ، فَلَا يَخَافُ بَخْسًا  
 وَلَا رَهْقًا» [الجن: ١٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِلَّ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ".  
 قالوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ  
 فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ."<sup>(١)</sup>

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيمة والجنة والنار، حديث رقم ٢٨١٤.

وقد خلط علماء أهل الكتاب أحياناً خلط في تفسير مساندة عزازيل  
للنبي الموعود في هذه الفقرة، حتى إن بعضهم ظن أنه المسيح الدجال،  
أو دجال من الدجالجة على الأقل. وسبب هذا عدم اعترافهم بنبوة  
محمد ﷺ، وإلا لما صعب عليهم فهم المراد.

ثم تشرع الرؤيا في تفسير ما رأه إبراهيم عليه السلام من شأن الرجل  
الموعود به بعد سؤاله عن حاله:

فقلت: أيها الأبدي! من الرَّجُل الذي شُتم وضرب، وبجله  
الأميين وقبَّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل  
الذي رأيته يُشتم ويُضرب لكن يبجله الكثير هو «الفرَّاج» الذي يهب  
الأميين للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة  
الثانية عشرة من زمن الفجور".

فهو النبي الذي جعله الله رحمة للخلق، وكان أكثر أتباعه من غير  
اليهود، فإنه لم يسلم منهم إلا القليل؛ وكان مولده في السنة السادسة  
والخمسين بعد المائة والألف (١١٥٦) من تاريخ السبي البابلي، بداية  
زمن الفجور؛ وكان مبعثه في السنة السادسة والتسعين بعد المائة  
والألف (١١٩٦) من ذلك التاريخ. فميلاده ومبعثه في الساعة الثانية

عشرة (القرن الثاني عشر) من زمن الفجور؛ فهل بقي لأحد أن يرتاب في أنه سيد ولد آدم محمد ﷺ؟

لكن الرؤيا تضيف نصاً مريباً فتقول:

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زمان الأخير، سأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فسيلتحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

إن كان ثمة فقرة في هذه البشارة لم تسلم من التحرير ف فهي هذه. دليل ذلك أنه بعد التصریح الجلي بأن المخلص يكون من الأميين، وأنه هبة الأميين لغيرهم؛ عاد ليقول إنه "يخرج من شعبي" يعني اليهود أو بنى إسرائيل. وهذا تعارض ظاهر. لهذا علق «ريزارد روبنکيفیتس» على الفقرة بقوله (نقلأً عن «هول»): "لا بد وأن تؤخذ باعتبارها تفسيراً مقحماً من أحد النصارى."<sup>(1)</sup> ولا شك أنها محاولة لصرف البشارة عن محمد ﷺ العربي إلى عيسى عليه السلام الذي هو من بنى إسرائيل.

---

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة من شتموه وضربوه، فكثيرون يتآذون به، لكن البعض سيتجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

ولا شك أن اليهود تآذوا عندما تيقنوا أن نبي آخر الزمان من العرب الأميين وليس منهم. وقد سبق الحديث عن شأنهم معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ختاماً بعد أن فسرت الرؤيا وفقاً لما أرى أنه الصواب، هنا أنا أورد نصها دون تجزئة حتى يستوعب القارئ الفقرات في سياقها.

وقلت: "أيها الأبدى القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟"

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين ولدوا قبل يومك وبعده، منهم من كتب له الحكم والصلاح، وأخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذلك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبوح بين يدي الصنم. فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القرابان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسنَ الصنع والصورة، حُسْنَه كذاك الذي تحت عرشك؟"

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنها، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهنوتاً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلـي، وأولئك شهدوا على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ..".

فنظرت وإذا الصورة تمـيل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال قوم فُجّار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من قتلوا ومنهم من سبوا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل، فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات. فقلت: "أيها

الأبدي، هو ذا الشعب الذي يخرج من نسلٍ وقد رضيت عنه ينهبه الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والهيكل قد أحرقوه بالنار، وما فيه من حسنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سيكون، فلم صدَّعْت قلبي؟

فقال لي: "ما رأيَتْه سيَكون بسبَبِ ذرِيتك، أولئك الذي يغضبونني بتمثَال الصنم الذي رأيت، وبسبَبِ القربان البشري في الصورة، وبغيرِهم في فعلِ الشر ومكرِهم في الهيكل، فكما رأيت سيَكون".

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتنصرف الآن أعمالُ الشر هذه التي عملت كُفراً، ولكن أرنِي الذين اتَّمروا بوصايَاك، بأعمالِ البر، فإنك على ذلك قادر".

فقال لي: "إن أيامَ البر ترى أنها طَأَّ بحياة أولئك الحكام الأبرار الذين سيَقومون، الذين خلقْتَهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن أعلم أنه سيَقومُ منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين أرَيتَكَهم".

فأجبت قائلاً: "أيها القادر! تقدس سلطانك! هبني سؤلي

"وأرفي، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أبجيري لهم ما أريتهنـي زمناً طويلاً؟"  
فأراني حشدًا من شعبـه وقال لي: "بسـبـبـهم، في منازـل أربعـ كـما  
رأـيـتـ سـأـغـتـاظـ مـنـهـمـ، وـفـيـهاـ سـيـحـقـ عـلـيـهـمـ عـقـابـيـ. وـفـيـ المـنـزـلـةـ الـرـابـعـةـ  
لـمـائـةـ عـامـ، الـتـيـ هـيـ سـاعـةـ مـنـ الدـهـرـ، أـيـ مـائـةـ عـامـ، سـيـكـونـونـ فـيـ نـكـبةـ  
بـيـنـ الـأـمـيـنـ، وـلـكـنـ أـيـضـاـ لـسـاعـةـ سـيـكـونـونـ فـيـ رـحـمـةـ وـعـزـ بـيـنـ أـولـئـكـ  
الـأـمـيـنـ.

فـقـلـتـ: أـيـهـاـ الـأـبـدـيـ! كـمـ هـيـ سـاعـاتـ الدـهـرـ؟ فـقـالـ: اثـنـيـ عـشـرـةـ  
سـاعـةـ كـتـبـتـ لـزـمـنـ الـفـجـورـ الـحـاضـرـ أـنـ يـتـسـلـطـ عـلـىـ الـأـمـيـنـ وـعـلـىـ ذـرـيـتـكـ،  
وـإـلـىـ نـهـاـيـةـ الـأـزـمـانـ سـيـكـونـ كـمـ رـأـيـتـ.

وـالـآنـ اـحـسـبـ وـافـهـمـ وـانـظـرـ فـيـ الصـورـةـ ثـانـيـةـ!

فـنـظـرـتـ وـرـأـيـتـ رـجـلـاـ يـخـرـجـ مـنـ الشـمـالـ نـاحـيـةـ الـأـمـيـنـ. وـخـرـجـ  
رـجـالـ وـنـسـاءـ وـأـطـفـالـ مـنـ نـاحـيـةـ الـأـمـيـنـ، جـمـوعـ غـفـيرـةـ، وـعـبـدـتـهـ (أـوـ  
بـجـلـتـهـ).

وـبـيـنـماـ كـنـتـ أـنـظـرـ إـذـ جـاءـ كـثـرـةـ مـنـ نـاحـيـةـ الـيـمـينـ، فـمـنـهـمـ مـنـ  
شـتـمـهـ، وـمـنـهـمـ مـنـ ضـرـبـهـ، لـكـنـ آخـرـينـ بـجـلوـهـ. وـبـيـنـماـ كـنـتـ أـرـقـبـ إـذـ  
رـأـيـتـ عـزـازـيلـ يـقـتـرـبـ مـنـهـ فـقـبـلـهـ عـلـىـ وـجـهـهـ وـوـقـفـ خـلـفـهـ.

فقلت: "أيها الأبدى! من الرَّجُل الذي شُتم وُضرب، وبجله الأميون وقبله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيته يُشتم ويُضرب لكن بجله الكثير هو «الفرَّاج» الذي يهب الأميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور.

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زمانِ الأخير، سأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فسيتحققون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعنىَه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءَهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة من شتموه وضربوه، فكثيرون يتذلون به، لكن البعض سيُبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

\* \* \*

## «عهد موسى»

اسم **The Testament of Moses** الكتاب «عهد موسى»

لأحد الأسفار المنحولة، ولا نعرفه إلا من مخطوطته اللاتينية الوحيدة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي. لكن المخطوطة اللاتينية لا تعد أصلاً لهذا السفر، بل هي مترجمة عن نسخة سابقة يرجح أنها يونانية. يقول «جون بريست»:

من الواضح أن النص اللاتيني ترجمة لوثيقة يونانية قد تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي أو بداية القرن الثاني. وقد افترض أغلب محققين النص الأولين أن اليونانية هي لغته الأصلية، لكن المجمع عليه الآن هو أن النص اليوناني الذي كان بين يدي المترجم اللاتيني هو ذاته ترجمة لنص سامي. يبقى الخلاف فيما إذا كان النص السامي آرامياً أم عبرانياً، لكن الأخير أكثر احتمالاً<sup>(١)</sup>.

ثم يضيف: "إن جل ما يثبته البحث الحالي هو أن النص الموجود لعهد موسى ينبغي أن يؤرخ بين السنة الرابعة قبل الميلاد وربما السنة

---

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Moses, Testament of".

الثلاثين بعد الميلاد.<sup>(١)</sup> وإذا كان النص اللاتيني المترجم عن اليونانية يعود إلى القرن الأول الميلادي، فإن الأصل العبراني أو الآرامي بلا ريب أقدم، وبناء عليه فإننا أمام وثيقة سابقة لظهور الإسلام بستمائة عام على الأقل.

#### النص وتفسيره:

يتحدث هذا السفر عن عهِدَ به موسى عليه السلام قبيل وفاته إلى غلامه يوشع بن نون عليه السلام الذي صار نبياً بعده، وهو عهد يسرد تاريخ وقد اعتمدت ترجمة «تشارلز» الإنجليزية وترجمة موسى ديب الخوري العربية. وسأتجاوز ما لا يعنينا في هذا السفر وأنتقل إلى المقصود حرصاً على الإيجاز.

يتحدث الفصل الثاني من هذا العهد عن تاريخ أسباطبني إسرائيل، ثم ينتهي بالحديث عن ضلالبني إسرائيل وتعلقهم بألهة الأمم الوثنية قائلاً: " وسيقدمون أبناءهم قرابين لألهة غريبة، وسينصبون الأصنام في الحرم ليعبدوها، وفي بيت الرب يصنعون الفجور، وينحتون كل أشكال البهائم، بل يأتون أموراً عظاماً."

---

(١) مرجع سابق.

وقد تقدم الحديث عن عبادة بني إسرائيل لآلهة الكنعانيين وغيرهم من الوثنين، وأن ذلك كان سبباً في سخط الله عليهم فسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب من البابليين بقيادة بختنصر. وهذا ما يتحدث عنه الفصل الثالث: "وفي تلك الأيام يأتي ملك من الشرق ضدهم، وستغطي فرسانه أرضهم، وسيحرق مستعمرتهم بالنار مع الهيكل المقدس للرب، وسينهب الآنية المقدسة كلها ...".

فالمليك الذي يأتي من المشرق هو «بختنصر» البابلي، وقد فصلت الحديث في تدنيسه الهيكل الأول وحرقه إياه عند شرح «رؤيا أخنوخ» مما أغنى عن إعادته. ويلحظ القارئ أن السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م كان بالنسبة لليهود حدثاً عظيماً يؤرخ به كثيراً، كما جُعل بداية لـ "زمن الفجور" في «رؤيا إبراهيم» كما رأينا.

يستهل الفصل الرابع حديثه عن «دانיאל» النبي القطّل الذي يجثو على ركبتيه سائلاً الله بِكَ أن يرفع عن بني إسرائيل ما حل بهم من بأس، فيستجيب الله دعاءه "عندها سيدركهم الرب بسبب الميثاق الذي عقده مع آبائهم، وسيظهر رحمته. وفي هذا الوقت سيلهم أيضاً أحد الملوك ليشفق عليهم فيعيدهم إلى ديارهم، إلى بلدتهم. عندها ستنهض بعض أقسام الأسباط وترجع إلى مكانها المحدد، وسيعودون

بناء الأسور.

المراد بـ "أحد الملوك" هنا هو الملك الفارسي «كورش» أو «كورش» الذي انتصر على البابليين وأعاد اليهود إلى فلسطين، وهناك أعيد بناء الهيكل وأصبح يعرف بـ «الهيكل الثاني».

لكنبني إسرائيل عادوا إلى ما نهوا عنه من عبادة آلهة الوثنين فسلط الله عليهم قوماً آخرين يسومونهم سوء العذاب، حكام الدولة السلوقية التي سبق الحديث عنها. وقد أعرضت عن الفصلين السادس والسابع لأنهما لا يثبتان على رأي جمهور علماء أهل الكتاب.

كان من أعظم ملوك الدولة السلوقية «أنطيوخس الرابع» الذي يصفه الفصل الثامن بقوله: " وسيحل عليهم [يعني اليهود] عقاب ثانٍ وغضب لم يجرسوه أبداً منذ البدء وحتى هذا الزمان، حيث سيحرض ضدتهم ملك ملوك الأرض، والقوى بين الأقوياء، والذي سيصلب الذين يعترفون بختانهم. والذين ينكرون أنه سينكل بهم وسيرمي بهم مكبلين في السجن. وستوهد نساؤهم لآلة الأمم. وسيعالج أطفالهم أطباء أطفال سيعيدون لهم القلف. وآخرون من بينهم سيعاقبون بالتنكيل بهم بالنار والحديد، وسيجبرون على حل الأصنام أمام

الشعب نجسین مثل الذين يحرسونها ...".

يقول «تشارلز» في تعليقه على هذا الفصل: "إن العقاب الثاني دقيق جداً في وصف اضطهاد «أنطيوخس إبيفانيوس» بشكل لا يحتمل إشارته إلى قارعة أخرى."<sup>(1)</sup> وقد نقلت من قبل اقتباسات طويلة في بيان هذه النكبة التي أصابت اليهود في عهد هذا الملك الطاغية. وتحدثت هناك عن قيام سلالة الحشمونيين التي نجحت في تطهير الهيكل قرناً من الزمان. وهذا ما نقرأه هنا أيضاً في الفصل التاسع.

"عندما، في هذا اليوم، سيكون هناك رجل من سبط لاوي باسم «تاكسو»، له سبعة أبناء، وسيعظهم بهذه الكلمات: انظروا يا أبناءي، إن عقاباً يصيب الشعب، عقاب ثان عنيف ونجس، عقاب مكرر عن الأول بلا شفقة وأقسى منه. لأنه أي أمة أو أي بلد أو أي شعب كافر في نظر الرب، والمذنب بآثام كثيرة، قد عانى من هذا القدر نفسه من الشرور التي وقعت لنا؟ والآن يا أبناءي، استمعوا إلي، وانظروا ولاحظوا أن آباءنا ولا أسلافهم لم يعارضوا الله أبداً بخرق وصاياه.

---

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004) vol. II, p. 420.

وأنتم تعلمون أن هذه هي قوتنا. فهاكم ما ستفعله: لنصم ثلاثة أيام، ولنمض في اليوم الرابع إلى مغارة في الحقل، ولنمت بالأحرى بدلاً من أن نحرق وصايا رب الأرباب، إله آبائنا. لأننا إذا عملنا ذلك ومتنا فإنه سيستقم لدمنا أمام وجه رب".

لكن السفر يتقل بنا إلى نهاية الزمان، على أن دولة الخشمونيين قامت وانتهت قبل ميلاد المسيح الظاهر. يقول النص:

"عندما سينجلى ملوكه بين الخلق كله. ويندحر الشيطان ويتشاثي الحزن معه. وعندما ستتملىء يدا الرسول رفيق القدر، وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكى يعاقب الأمم، ويدمر كل أصنامهم. عندما يا إسرائيل سعيداً ستكون ...".

قبل الحديث عن تجلي ملوكوت الله في آخر الزمان أود أن أبين اختلافاً جوهرياً في ترجمة قوله: "وعندما ستتملىء يدا الرسول رفيق القدر؛ وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم"، وسبب الاختلاف غموض الأصل اللاتيني الذي لا نمتلك غيره. فتشارلز مثلاً يترجم الفقرة بقوله: "ثم ستتملىء يدا الملاك الذي عين رئيساً؛ وسرعان ما

سينتقم لهم من أعدائهم."<sup>(١)</sup> أما ترجمة الخوري العربية - عن الفرنسية - فتقول: "وَعِنْهَا سَيُولَّ الْمُرْسَلُ، الْمُسْتَقْرِرُ فِي الْأَعْلَى؛ وَسَرَعَانٌ مَا سَيُنتقمُ لِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ".

نلحظ أنه لا فرق بينهما في ترجمة النصف الثاني من الفقرة، أما النصف الأول فظاهر الاختلاف؛ وهذا يحتم علينا الاستعانة بالنص اللاتيني الأصلي. يقول النص اللاتيني:

Tunc implebuntur manus nuntii qui est in summo constitutes, qui protinus vindicauit illos ab inimicis eorum<sup>(٢)</sup>.

ومعناه الحرفي: "ثم سُتملاً يدا الرسول الذي وضع في علو، الذي سرعان ما انتقم لهم من عدوهم".

---

(1) "Then the hands of the angel shall be filled Who has been appointed chief, And he shall forthwith avenge them of their enemies."

(2) Otto Fridolinus Fritzsche. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871), p. 151.

فدل هذا على أن كلمة "ملاك" في ترجمة «شارلز» مجانية للصواب، وأن كلمة "مُرسِل" في الترجمة العربية أكثر دقة. لكن "الذي وضع في علو" تظل مثار جدل؛ فالنسخة العربية - المترجمة عن الفرنسية - فهمت فيما يبدو أن العلو هنا هو السماء فترجمتها "المستقر في الأعلى". أما «شارلز» ففهم منها الرفع في القدر لا حقيقة المكان، فترجمها "الذي عين رئيساً"، وأرى - والله أعلم - أن الأقرب ترجمتها بـ "رفع القدر" أو "ذى المكانة" أو نحوهما. فيصير النص: "وعندها ستمتلئ يدا الرسول رفع القدر؛ وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم".

ثم يحدد موسى عليه السلام المدة بين موته ومجيء الرسول الخاتم رفع القدر، فيقول: "وأنت يا يوشع (بن) نون، احفظ هذه الكلمات وهذا السفر؛ لأنك من موقي إلى مجبيه سيكون مائتان وخمسون زمناً. وهذا هو مجرى الأزمنة كما ستحل حتى تنتهي. أما أنا فسأمضي لأرقد مع آبائي. وهذا كن قوياً وشجاعاً، أنت يا يوشع بن نون، لأن رب اختارك لتكون خليفي في الميثاق نفسه".

نحن إذن أمام محك صارم لتحديد زمن تجلی ملکوت الله واندحار الشيطان، وظهور الرسول رفع المكانة. فهذه الفقرة تعطينا إطاراً زمنياً دقيقاً على غرار ما سبق في «رؤيا أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم».

يقول موسى عليه السلام إن من موته إلى زمن مجيهه، أي مجيء ملوكوت الرب أو الرسول، مدة قدرها ٢٥٠ زمناً. فما المقصود بالزمن هنا: سنون أم عقود أم قرون؟

جُلُّ علماء أهل الكتاب على أن المراد بالزمن هنا أسبوع من السنين، أي سبع سنين. يقول «تشارلز» في تعليقه على الفقرة: "٢٥٠ زمناً: يعني ٢٥٠ أسبوعاً سنوياً أي ١٧٥٠ عاماً."<sup>(١)</sup> ويعبّر «م. ر. جيمس» عن شبه الإجماع هذا بقوله: "الأزمنة هنا تؤخذ عادة على أنها أسبوع من السنين، وهذا يعطينا ١٧٥٠ [عاماً]."<sup>(٢)</sup>

ومع ذلك يذهب علماء النصارى إلى أن المبشر به في الفقرة هو «المسيح» عليه السلام. وهذا الإصرار من جانبهم ليس له ما يؤيده من داخل النص ولا من خارجه. فإننا لو سلمنا جدلاً أن موسى عليه السلام توفي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد - وهو التاريخ التقليدي عند أهل الكتاب -، فإننا سنجد أن مجيء النبي الموعود سيقع في القرن الثالث الميلادي، وهو تاريخ بعيد عن زمن المسيح عليه السلام. وحتى لو سلمنا

(1) R. H. Charles. *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol. II, p. 423.

(2) M. R. James. *The Biblical Antiquities of Philo* (Forgotten Books, 2007), p. 289.

جدلاً أنه المسيح ﷺ فلن يستقيم لنا تاريخ وفاة موسى عليه السلام، فإنه يصير قبل الميلاد بـ ١٧٥٠ عاماً، وهو ما لا يقبله علماء أهل الكتاب أنفسهم؛ فبطلت حجتهم في الحالين.

إن الصواب في هذه المسألة اعتماد تاريخ وفاة موسى عليه السلام بناء على ما حررته سلفاً من أن خروجبني إسرائيل من مصر كان في زمن الفرعون «رمسيس الثاني»، وعليه فإن تاريخ هلاكه هو أيضاً تاريخ الخروج. فمتى كان هلاك هذا الفرعون؟

إن المراجع الشهيرة لا تختلف كثيراً في تحديد تاريخ وفاة رمسيس الثاني؛ فـ «قاموس آنكور الكتبي» يحدد هلاكه بعام ١٢١٢ ق.م، والموسوعة البريطانية تحدده بـ ١٢١٣ ق.م، وعلى هذين التقديرتين تسير جُلُّ المراجع المعترضة المختصة بتاريخ مصر أو العهد القديم. فإذا كان هلاك فرعون موسى عام ١٢١٣ ق.م فإن موت موسى عليه السلام كان بعد هذا التاريخ بنحوٍ من أربعين عاماً - إذا ما اعتبرنا مدة تيه بنى إسرائيل - أي في سنة ١١٧٣ ق.م أو قبلها بيسير؛ لأن دخول بنى إسرائيل الأرض المقدسة بعد انقضاء مدة التيه كان بعد وفاة موسى عليه السلام على يد غلامه يوشع بن نون عليه السلام كما هو معلوم.

ولتبسيط الأمر يمكن تمثيله رياضياً كالتالي:

(تاريخ هلاك فرعون) - (مدة التيه) = (تاريخ وفاة موسى عليه السلام).

١٢١٣ ق.م - ٤٠ عاماً = ١١٧٣ ق.م

(تاريخ وفاة موسى عليه السلام) + (المدة بين موسى والنبي الموعود)

= (زمن ظهور النبي الموعود).

١١٧٣ ق.م + ٥٧٧ م = ١٧٥٠ م.

والدنيا كلها تعلم أنه ما ظهر في هذا التاريخ أعظم ولا أعز على الله ولا أصدق لساناً ولا أنقى فؤاداً ولا أنسخ للعباد من رسول الله محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ; وكان ميلاده عام ٥٧١ م، كما بشر موسى عليه السلام.

فإن قال مماحك: هذا لا يستقيم، فيبين التاريخين ستة أعوام.

قلنا: هذا من التعتت الظاهر، فإن موسى عليه السلام توفي قبل انقضاء التيه، لكننا لا نعلم في أي عام على وجه الدقة حتى تدعى هذا الاختلاف، فبطل اعترافك.

ثم يشير النص بعد تحديد زمان النبي الموعود إلى طرف من صفتة، فيقول:

وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي  
الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويحطم كل أصنامهم.

فتعته بأنه سيتصر للمؤمنين من أعدائهم الكافرين وسيحطم  
أصنامهم، وكان ذلك يوم فتح مكة شرفها الله، إذ أخضع الله به رقاب  
العرب الوثنين، فحطם أصنامهم التي كانوا ينصبونها حول الكعبة،  
وأرسل أصحابه يذكون صروح الوثنية في أنحاء الجزيرة العربية، ثم  
خلفه أصحابه رضوان الله عليهم فعاقبوا بقية الأمم المشركة فهزموا  
عبدالصليب في بلاد الشام وعبدالنار في أرض فارس، حتى ظهر  
الإيمان واندحر الكفر، فلله الحمد.

وبعد أن أوردت بعض البشائر بالمصطفى ﷺ ما يُعرف  
بالأسفار المنحولة، أعود إلى الأسفار القانونية المعترضة عند أهل الكتاب  
حتى لا تبقى لمنكر حجة.

## **الفصل الثاني**

# **اسم النبي ﷺ في أسفار أهل الكتاب**





## «محمد» ﷺ في سفر "هوشع"

يزعم علماء أهل الكتاب أن أسفارهم "المقدسة" لا تحوي أثراً لاسم محمد ﷺ البتة، وأن قول الله عز وجل : «يَحْذُونَهُ مَكْثُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ» [الأعراف: ١٥٧] هو محاولة لإضفاء شرعية وقداسة على الرسالة الخاتمة رسالات الإسلام التي هي عندهم دينٌ مقتبس عن اليهودية والنصرانية. وبغض النظر عن هذه المزاعم الباطلة إلا أن الحديث عنها يسمى «الكتاب المقدس» (Holy Bible) ليس في الحقيقة حديثاً عن التوراة والإنجيل اللذين هما كتابان متزالان من عند الله. وعليه فلولم يرد اسم محمد ﷺ في كتابهم الذي بين أيديهم ما كان ذلك قدحاً في تقرير القرآن الكريم.

فـ «الكتاب المقدس» ينقسم إلى قسمين رئيين. العهد القديم: ويشترك في الإيمان به اليهود والنصارى، ويحوي هذا القسم أحكاماً وقصصاً تمتد من بدء الخليقة إلى القرن الخامس ق.م تقريراً كتبها عدد من المجاهيل الذين لا يعلم حاهم. أما العهد الجديد فلا يقبله سوى النصارى، ويشتمل على سيرة المسيح ﷺ كما لفقها كتابها متى ومرقص ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى رسائل يُنسب بعضها إلى بولس اليهودي وبعضها إلى غيره.

ولكن لطمئن قلوب المؤمنين وتزداد قلوب الجاحدين حسرة ولا يُتهم المسلمون بالحيدة على أي حال؛ أورد هنا فقرات من العهد القديم التي يتفق اليهود والنصارى على قبولها؛ بقي فيها اسم «محمد» صريحاً رغم عبث العابثين. وبغض النظر عن صحة نسبة النص إلىنبي من أنبياءبني إسرائيل أو بطلانه فإنه يبقى شهادة تاريخية سابقة لبعثة المصطفى ﷺ ودليلًا على ورود اسمه الكريم منذ ذلك الزمان في وحي أصيل أخفاه الأنجوار والرهبان كما أخفاوا غيره من الكتاب.

تُرد هذه الفقرات في سفر «هوشع» - الذي هو أحدأسفار العهد القديم المعتمدة - في سياق توبيخبني إسرائيل على ما اقترفوه من الخطايا والآثام، إذ خاطبهم «الرب» قائلاً:

١ "لَا تَبْتَهِجْ يَا إِسْرَائِيلُ وَلَا تَطْرَبْ كَبِيْرَةِ الشُّعُوبِ، لَأَنَّكَ قَدْ خُنْتَ إِلَهَكَ وَهَجَرَتَهُ، وَأَخْبَيْتَ أُجْرَةِ الزَّنَى عَلَى كُلِّ بَيَادِ الرِّحْنَةِ. ٢ لِهَذَا فَإِنَّ الْبَيْدَرَ وَالْمُغَصَّرَةَ لَا يُطْعِمَانْكُمْ، وَالْحَمْرَةَ الْجَدِيدَةَ لَا تُلَبِّي حَاجَتَكُمْ. ٣ لَنْ تَظَلُّوْا مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ بَلْ يَرْجِعَ أَفْرَادِيْمُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَيَأْكُلُوْا لَحْمًا نَجِسًا فِي أَشْوَرَةِ ٤ لَا تَسْكُبُوْا لِلرَّبِّ حَمْرًا وَلَنْ تُسَرَّهُ ذَبَائِحُكُمْ، بَلْ تَكُونُ لَكُمْ كَخُبْزِ النَّائِحِينَ. كُلُّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُ يَتَنَجَّسُ، إِذْ يَكُونُ خُبْزُكُمْ لِسَدٌ جُوعِكُمْ فَقَطْ، وَلَا يَدْخُلُ أَبْدًا إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ".

[هوشع ٩:٤-٥].

وبعد فقرات من التوبيخ يسألهم الرب قائلاً:

מִה־תְּעַשׂ לֵיָوم מֶוּעָד וְלֵיָום חֲגִיהָה: כִּי־הַנֶּה הַלְּבָבוֹ  
 מִשֵּׁד מִצְרָים תִּקְבְּצָם מִפְּתַּחְכָּם מִחְמָד לְכִסְפָּם קְמוֹשׁ  
 יְרִשָּׁם חֹזֵח בְּאֶהָלָהֶם: בָּאוּ יְמֵי הַפְּגָדָה בָּאוּ יְמֵי הַשְּׁלָמָה  
 יַדְעֻוּ יִשְׂרָאֵל אָנוֹלַי הַגְּבִיא מְשֻׁגָּע אִישׁ הָרוֹחַ עַל רַב עֲונָךְ  
 וְרַבָּה מְשֻׁטָּמָה

ما تعسو ليوم موعد ول يوم حجّ بهوه؟ كي هيبي هالخو مشود.  
 مصر ايم تقبضم، موف تقبرم، محمد لخسبام، قيموش ييراشم، حوح  
 بأهلיהם. باؤو يمي هبجوداه، باؤو يمي هشلوم. يدعوي سرائيل إفيل  
 هنفي، مشبع ايش هروح؛ عل روف عفونخا، فرياه مسطهاه.

وتفسيره وفقاً لأغلب التراجم العربية والأعجمية - مع فروق

يسيرة - :

٥ ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب. ٦ إنهم قد ذهبوا من الخراب؛ تجمعهم مصر، تدفهم موف، يرث القرص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. ٧

جاءت أيام العقاب، جاءت أيام الجزاء، سيعرف إسرائيل النبي أحق إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد.

إن جل الترجمات العربية والأعجمية فسرت هذا النص تفسيراً عجباً لا يكاد يفصح عن معنى مفهوم، بل لا يعدو رصاً لجمل متناففة لا يربطها رابط. فما هو "يوم الموسم"؟ وما هو "يوم عيد الرب"؟ وما معنى "سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد".؟

وهاك نماذج من هذه الترجمات وأغلاطها:

النسخة السبعونية اليونانية (Septuagint): "لأنهم أولاء يخرجون من بلاء مصر."<sup>(1)</sup>

النسخة الدولية الجديدة (NIV): " وإن فروا من الخراب، مصر تجمعهم."<sup>(2)</sup>

النسخة القياسية المنقحة (RSV): "لأنهم أولاء يخرجون إلى

---

(1) "dia touto idou poreusontai ek talaiporias Aiguptou".

(2) "Even if they escape from destruction, Egypt will gather them."

أشور، مصر تجمعهم."<sup>(١)</sup>

إن العجب من هذا التباين سرعان ما يتلاشى إذا ما رجع الباحث إلى النص العبراني لسفر «هوشع» ليرى أن الترجمات المختلفة أبعد ما تكون عن الدقة، وإنما أوكلت في كثير من الأحيان إلى من ليس من أهل اللغات «السامية»<sup>(٢)</sup> وإن كان من المختصين بها؛ فتراه يقلب معاجم العربية يهرب إلى أي معنى يحتمله السياق وهو لا يمتلك سلبيقة تدلّه على المعنى المراد من بين عشرات المعاني أحياناً. وجُلُّ الترجمات إنما قام بها هؤلاء الأعاجم.

فالنسخة السبعونية اليونانية أضافت كلمة (talaiporias) التي تعني الشدة والبلاء (أو الخراب أحياناً) إلى كلمة (Aiguptou) (أي "مصر") لتصبح العبارة "باء مصر". ومع أن هذا المعنى مقبول في نفسه إلا أنه لا ينسجم أبداً مع السجع المقصود في النص كما سيأتي بيانه بعد قليل.

---

(١) "For behold, they are going to Assyria; Egypt shall gather them...".

(٢) درج وصف «السامية» على لسانة الباحثين رغم خطئه، والصواب أن يقال «اللغات العربية القديمة» أو نحوه.

كما نلحظ أن ما اعتبرته النسخة «السبعونية» اليونانية إضافةً اعتبرته «النسخة الدولية الجديدة» (NIV) كلمتين منفصلتين؛ فـ "من بلاء مصر" تصبح "من الخراب، مصر...".

أما «النسخة القياسية المنقحة» (RSV) فقد أغترت كثيراً حتى إن المرء ليتساءل: أي يد خرقاء قامت بها؟ فقد ترجمت حرف الجر «م» (ومعناه "من") بـ "إلى"، وهو عكس المقصود تماماً! ثم فسرت الكلمة «شود» (أي "البلاء") بـ «أشور» التي ينسب إليها الأشوريون، فصارت "يذهبون إلى أشور". وأي تشابه ثمة بين شود (فلا) وأشور (لا فلا) في العبرانية حتى يُلتمس العذر للمترجم؟ إنه مثال يُنّ على تحريف المترجمين لا يمكن تفسيره إلا أنه اتباع للهوى أو جهل كثيف. ولعل قارئاً نبه دار النشر إلى هذا الخطأ الجلي فغيّر في «النسخة القياسية المنقحة الجديدة» (NRS) إلى "وإن فرّوا من الخراب" على غرار «النسخة الدولية الجديدة».

لقد كانت العبرانية إحدى اللغات العربية القديمة كالسبئية والشمودية، تحدث بها الكنعانيون العربُ الذينقطنوا فلسطين، ثم اتخذها اليهود لساناً لهم وأسموها "سِفت كَنَعْنَ" أي «لسان كنعان» كما يشهد لذلك سفر إشعيا (19: 18)، لكنها لما فقدت علاماتها

الإعرابية - كحال كثير من اللغات العربية القديمة - أصبح من الصعوبة تحديد المعاني بدقة كما في النص الوارد أعلاه؛ فلو كانت الكلمة «مِصْرَائِيم» تحمل علامة رفعٍ لعلِّم أنَّ لِيسَت متعلقةً بـ«شود» (أي «باء»)، بل هي جملةٌ مُسْتَأنفة. وفي هذا تقول الموسوعة البريطانية:

كان للغة السامية [العربية الأم] في الأصل ثلاث حالات: (الرفع والنصب والجر). لكن العلامات الإعرابية التي ميزت تلك الحالات لم تُحفظ حفظاً كاملاً إلا في بعض اللهجات الأكادية وفي العربية الفصحى.<sup>(١)</sup>

أعود فأقول إن القارئ للفقرتين ٥ و٦ في أصلهما العبراني لا يغيب عنه ما فيهما من تناظر وسجع تنتظم به الجمل تلقائياً دون تكُلُّف أو تعُسُّف. يقول النص:

مِصْرَائِيم تِقْبِصُم <sup>(٢)</sup>	(مِصْر تَحْشِرُهُم)
مَوْفَ تِقَبِّرِيم	(مَوْفَ تَقْبَرُهُم)
مَحْمَد لِخَسْبَام	(نَفِيسٌ فَضَّتْهُمْ [؟])

(١) Encyclopedia Britannica. "Semitic Languages".

(٢) من «قبص» العبرانية (ويقابلها في العربية «قبض») بمعنى "جمع" أو "حاز".

(القريص<sup>(١)</sup> يرثهم)

قِمُوش بِرَاشِم

(العوسع في منازلهم)

حُوَّح بِأَهْلِيهِم

فيلحظ أن الجملة الثلاث الأولى تبدأ بالميّم، كما أن كل جملة تنتهي بـ«هم» في العربية، وهو نظم يذكّرنا بنظم المؤشّحات الأندلسية، كقول ابن المهلّل واصفاً الطبيعة:

النهر سل حساماً  
على قدود الغصون

وللنسيم مجال

والروض فيه اختيار

مُدت عليه ظلال

... إلى آخر ما قال.

المقصود أنه عند اتباع النظم الصحيح للنص يتبيّن أن «مصاريم» مبتدأ وليس مضافاً إليه كما اقترحـت النسخة السبعونية. فلما أخطأـت النسخة السبعونية بأن اعتبرت «[مـ]شود مصاريم» مضافاً ومضافاً إليه ترتب على ذلك أن أعادـت صياغة الفقرتين بعدـها على النحو

(١) أو القرّاص، وهو نبات.

التالي:

تقبرهم موف (تحشرهم موف)

تقبرم محماس (تقبرهم محماس [؟])<sup>(١)</sup>

لخسام قيموش يراشيم (أما فضتهم فيرثها الخراب)

حوح بأهلهم (ويكون العوسع في خيامهم)

وبهذا يتبيّن أن النسخة السبعونية أفقدت النص نظمه وإيقاعه،  
بل وأخلّت - كغيرها من النسخ - بقواعد الإعراب في الجملة الثالثة.

ولم يقف التحريف عند تغيير المبني، بل حرف المعنى كذلك.  
وهنا سأركز الحديث على معنى النص ليرى القارئ كيف أن تلاعب  
المترجمين حول نصاً صريحاً في نبوة المصطفى ﷺ إلى جمل شديدة  
الركاكة باهته المعاني أشبه ما تكون بسجع الكهان.

(١) وهو تحريف للكلمة الأصلية "م-ح-م-د" كما سأليه لاحقاً إن شاء الله.

### تفسير النص:

أما قوله: (ما تَعْسُو لِيَوْمٍ مَوْعِيدٍ وَلِيَوْمٍ حَجَّ يَهُوَهْ؟) فليست له علاقة بالمواسم والأعياد، وهذا ظاهر من السياق، إنما هو تحريف وتذكير لبني إسرائيل الذين ابتعدوا عن منهج الله وعصوا رسالته. فمن ترجمه بقوله "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟" أبعد النجعة وأحال الوعيد عيداً. فالنص العبراني يقول: (لـ-يَوْمٍ) ومعناها "لِيَوْمٍ" وليس (بـ-يَوْمٍ) "في يَوْمٍ". وعليه فالصحيح أن تترجم هكذا: "ما أنتم عاملون ليَوْمِ الْمِيعَادِ<sup>(۱)</sup> وَيَوْمٍ يَحْشُرُكُمُ الرَّبُّ؟"، فكلمة "حَجَّ" في العبرانية هي كل اجتماع حاشد، وإنما استُعيرت للعيد لاجتماع الناس فيه. ومعنى الجملة يُذَكَّر بقول الله تعالى مخاطباً بنبي إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّنَاكُمْ مِنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَكِّرُهُنَّ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ۴۹].

وأما قوله (كي هيني هالخو مشود: مصر ايم تقبصم، موف تقررم) فتفسيره "فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسراً لهم ومنف<sup>(۲)</sup> تقرهم [أو تدفنهم]". وهو تذكير لبني إسرائيل بما تعرضوا له من ابتلاء

(۱) "موعد" في النص العبري.

(۲) منف: مدينة مصرية قديمة.

على يد فرعون وقومه، فالنص يشير إلى النجاة من البلاء، والاستعباد، والقتل، وهو معنى قريب جداً من قول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ أَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدْمِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

لكن اضطهاد المصريين ليس كلَّ ما تعددَه الفقرة من ابتلاء لبني إسرائيل، فهي تستمر قائلة (محمد لخسبيام)، وهنا بيت القصيدة؛ فقد تُرجمت هذه العبارة بـ "نفاس فضتهم" وهو من التحريف الظاهر لأمرتين رئيسين. أو هما: أن إضافة «محمد» (بمعنى "نفيس") إلى «خسبيام» (أي "فضتهم" أو "ما لهم") من الركاكة بمكان، لوقوع حرف الجر (ال) بينهما؛ حتى إن «فيليهم جسينوس» في كتابه «نحو اللغة العبرانية» Gesenius' Hebrew Grammar أورد احتفالاً أن تكون العبارة في أصلها (محمد خسبيام)، وهي صيغة الإضافة السوية في العبرية.

الأمر الآخر: إن سلمنا جدلاً بصحة الإضافة في (محمد لخسبيام) "نفيس فضتهم [أو "ما لهم"]" فهي رغم ذلك ليست جملة مفيدة، فهي تحوي مبتدأ يفتقر إلى خبر، أو خبراً لمبتدأ محذوف لا نعلمه، مما اضطر المترجمين إلى أن يربطوها بـ (قيموش ييراشم) التي تليها، فقالوا "يرث

القريص نفاس فضتهم؟؛ وهي محاولة بائسة للهروب من المأزق. لكن الجملة لا تستقيم رغم ترقيعهم هذا، لأننا لو ترجمنا النص العربي حرفيًا لصار "نفيس فضتهم القريص يرثهم" بمعنى أن ضمير الجمع «هم» سيعود على المفرد «نفيس» وهو ما لا يستقيم في اللغة العبرانية، وإنما يقال "نفيس فضتهم القريص يرثه"، ولو افترضنا أن الضمير يعود على «فضة» - وهو بعيد جدًا - فالاعتراض قائمٌ لأنها مفرد وليس جمعًا حتى في أصلها العربي (لـ[كسفـ]م). فدل ذلك على أنها جملتان وليستا جملة واحدة.

فما معنى الجملة إذن؟ إن (محمد لخسبيام) عبارة وجيزة مستأنفة معناها الحرفي "محمد لـ لهم" ، فـ "محمد" اسم علم يشير إلى النبي ﷺ وليس صفة بمعنى «نفيس»، يشهد لهذا أمران على الأقل، أولهما: أن الجملة بغير هذا الشكل لا تستقيم لا معنى ولا مبنيًّا كما سبق بيانه. ثانياً: لما تعرّض مترجمو النسخة السبعونية لهذه الفقرة كانوا يدركون أن «محمد» اسم علم، فكانهم حاروا ما يفعلون، فلجأوا إلى تغيير الاسم إلى «محمس» (Machmas)، أي مدينة «مخماش».

ولعل قائلاً يقول: ألا يمكن أن يعتذر لهم باحتمال أن حرف الدال لم يكن بيناً في الأصل العبراني فأشكل على المترجمين؟ فأقول:

أولاً، إن حرف السين (سامخ) والدال (دالت) في العبرانية لا يتشابهان البتة والخلط بينهما بعيد، فال الأول يكتب هكذا (ס) والأخر يكتب هكذا (ד)! ثانياً: لو افترضنا ذلك جدلاً فإن مدينة «مخماش» التي يريدها المترجمون هنا لا تكتب في العبرية «محمس» وإنما (מִכְמָשׁ) «مكمَس» أو (מִכְמָשׁ) «مكمَش» بكاف وسين أو كاف وشين؛ فالتحريف لم يقع في حرف واحد فحسب، بل في حرفين اثنين.

وقد يعترض معارض فيقول: لم بدلت «محمد» فجعلتها «محمد»؟ والجواب أن النص العربي ظل أكثر من ألف عام مجردأ عن الحركات إلى أن أضافها «المُسُورِيُّون» من علماء اليهود بين القرنين السادس والتاسع بعد الميلاد وفق اجتهادهم، فأصابوا بعضاً وأخطأوا بعضاً. فالكلمة قبل تحريف المسلمين كانت (محمد) «محمد» دون حركات، ولم تكن (محمد) «محمد»، وهذا مما يجمع عليه علماء العهد القديم. فلم يبق إلا الإذعان بأن «محمد» علم على النبي ﷺ.

والمراد من الفقرة أن محمدًا ﷺ سيتولى تأديبهم في أمواهم، وحصل ذلك عندما أجل بنى النضير إلى أذرعات من أعلى الشام وإلى خيبر حتى إن أحدهم كان يتزع باب داره وسقفها لثلا يخلفها وراءه، كما جاء في سورة الحشر «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ مِنْ

دِيَرُهُمْ لِأَوَّلِ الْحَسْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَنُوا أَنَّهُمْ مَانَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ  
مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ أَللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُخْرِبُونَ  
بُوَيْهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرِرُوا يَتَأْفَلُ الْأَبْصَرُ ﴿الْحَسْرٌ: ٢﴾  
قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَحْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا  
رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
﴿الْحَسْرٌ: ٦﴾.

أما قوله: (قِيمُوش يِراشِم، حوح بِأهْلِيهِم) فـسـأـعـتمـدـ فـيـهـ تـرـجـمـةـ  
الـنـسـخـ الـعـرـبـيـةـ "الـقـرـيـصـ يـرـثـهـمـ، وـالـعـوـسـجـ فـيـ مـنـازـهـمـ"ـ تـنـزـلـاـ لـاـ  
قـبـوـلاــ حـتـىـ لـاـ أـطـيلـ عـلـىـ القـارـئـ.

ثم يعود الرب إلى تحذيربني إسرائيل من مغبة كفرهم وأن أيام المسائلة قد أزفت فيقول: (بِأَوْ يَمِي هِبْجُودَاه، بِأَوْ يَمِي هِشْلُوم) أي "أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء". واستعمال الزمن الماضي هنا دلالة على التحقق والواقع لا محالة، كقوله تعالى: ﴿أَفَقَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا  
تَسْتَعِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [النحل: ١].

ثم يـبـيـنـ السـبـبـ فـيـ هـذـاـ التـهـديـدـ وـالـوعـيدـ فـقـالـ: (يـدـعـوـ يـسـرـائـيلـ  
إـفـيلـ هـنـئـيـ، مـشـجـعـ إـيشـ هـرـوحـ) وـتـرـجـمـتـهاـ كـمـاـ فـيـ تـرـجـمـةـ «ـفـانـ دـايـكـ»ـ

"سيَعْرِف إِسْرَائِيلُ، النَّبِيُّ أَحْمَقُ، إِنْسَانُ الرُّوحِ مَجْنُونٌ". وهي كما ترى غاية في الركاكة والإبهام، والسبب في هذا أن جل الترجمات العربية والأجنبية اعتبرت الفعل العبري «يدعوا» مشتقاً من «ي-د-ع» بمعنى «عَرَفَ»، والصحيح أنه مشتق من «د-ع-ه» بمعنى «دعا». وهذا الفعل ثابت في العبرانية كما فصل ذلك «جييمس بار» في كتابه «فقه اللغة المقارن ونص العهد القديم».<sup>(1)</sup> فالجملة (يُدَعُو يَسْرَائِيلُ إِفِيلَ هَنَّفِي، مِشْجَعُ إِيْشَ هَرُوح) تتالف من فعل متعدد إلى مفعولين، وفاعل، ومفعول به ثانٍ مقدم، ومفعول به أول مؤخر، ثم مفعول به ثانٍ مقدم؛ ومفعول به أول مؤخر مضاد. وعليه فالترجمة الحرافية للفقرة هي "تَدْعُو إِسْرَائِيلَ النَّبِيَّ سَفِيهَا، ورَجُلَ الرُّوحِ مَجْنُونًا"، والمراد بـ«إِسْرَائِيلُ» هنا بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَفَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾<sup>٥٢</sup> أَتَوَاصُوا بِهِ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

(1) Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987), p. 23.

ثم بين النصُّ ما دفع اليهود إلى هذا السباب والجحود فقال (عل  
روف عفونخا، فرباه مسطراه) "لكثرَةِ آثَامِكَ وفَرْطِ عَدَائِكَ".<sup>(١)</sup> فسبب  
تكذيب اليهود للنبي ﷺ وشتمهم إياه - بشهادة أسفارهم - هو فرط  
عدائهم، وهو كما قال تعالى: ﴿لَتَرَجِدَنَّ أَشَدَّ الظَّالِمِينَ عَدَوَّةً لِّلَّذِينَ مَا آمَنُوا  
أَلَّيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وفي قصة صفية بنت حبي بن أخطب رضي الله عنها سالفه الذكر  
أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقهما قط مع  
ولد لها إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء  
فيبني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حبي بن أخطب وعمي أبو ياسر  
بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس.  
قالت: فأتيَا كآلِينَ كسلانِينَ ساقطِينَ يمشيانَ الْهُوَينِيَّ. قالت: فهشت  
إليها كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منها مع ما بهما من

(١) هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي انتقال من صيغة الغائب "يدعو إسرائيل" إلى صيغة المخاطب "آثامك" و"عدائك"، وفائدة البلاغية لفت المستمع أو القاريء إلى أمر ذي شأن. وقد سبق ورود التفات آخر عند قوله "ما أنت عاملون ... فهاتم أولاء نجوا من البلاء" والأصل "فهاتم أولاء نجوتهم من البلاء". وهذا لا يعنينا كثيراً هنا وإنما أردت به بيان مُراوحة الضمائر وأن ذلك لا يغير من أصل معنى النص شيئاً.

الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".<sup>(١)</sup>

هنا أختتم بعرض ترجمة «فان دايك» العربية للنص أعلاه وأتبعها بترجمتي التي اعتمدت فيها الأصل العربي وأترك للقارئ الحكم.

ترجمة فان دايك: "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟ إنهم قد ذهبوا من الخراب، تجتمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث القرىص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل، النبي أحمق، إنسان الروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد."

ترجمة الباحث: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد، ويوم يحشركم رب؟ فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم، ومنف تدفنهم، ومُحَمَّد يغنمهم، والقرىص يرثهم، والعوسج في ديارهم. أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء، فبني إسرائيل يدعون النبي سفيهاً وذا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥١٩.

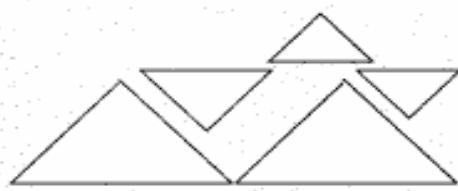
الوحي<sup>(١)</sup> مجنوناً، من عظَمِ الإثم وفرط العداء.

﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْنُسُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٦٥﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿[البقرة: ١٤٥-١٤٧].﴾

(١) «إيش هروح» التي ترجم بـ«إنسان الروح» معناها "ذو الوحي" وهو وصف لمحمد ﷺ إذ سُمي القرآن الذي أنزل عليه "روحاً" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْجَحْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا أَلِيمَدْنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا نَّهَى إِلَيْهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادَنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

# **الفصل الثالث**

## **قبلته مثابة للناس**





## «بَكَةٌ» في سفر المزامير

في تعليق على «سفر المزامير»<sup>(١)</sup> ينقل اللاهوتي القس «جورج بوش»<sup>(٢)</sup> عن المفسر «روزنمولر»<sup>(٣)</sup> قوله: «إن الجزء الأول من المزمور [الرابع والثانين] لا يمكن إيضاحه بمثالٍ خيرٍ من - ولا يُسأفهم مقصدنا! - أولئك الذين يحجون إلى مكة». <sup>(٤)</sup> وهو هنا يعرض بال المسلمين كما سترى؛ فما هي الحقيقة التي يخشى أن ينصرف إليها كلامه؟

يقول المزمور الرابع والثانون وفقاً لترجمة «فان دايك» العربية الشهيرة:

(١) سفر المزامير: أحد أسفار العهد القديم التي يشتراك في قبوها اليهود والنصارى وينسبونه إلى داود الملك.

(٢) جورج بوش: لاهوتي ومفسر أمريكي يلتقي نسبة بالرئيس الأمريكي الأسبق «جورج ووكر بوش». له كتاب «حياة محمد»<sup>[١]</sup> وتفاسير على ما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٥٩ م.

(٣) إرنست فريدرיך روزنمولر: لاهوتي ومفسر ألماني. كان أستاذًا للغات الشرقية جامعة «لايبسيج» الألمانية، وله مؤلفات وتفاسير لما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٣٥ م.

(٤) Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865), p. 396.

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك (سلاه)؛ طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركاتٍ يُعطون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُرُون قدام الله في صهيون." (مزامير ٨٤: ٥-٨).

إن غموض المعنى في هذا المزمور مما يثير الشك بأن تحريفاً قد حصل من قبل المترجمين عن الأصل العبراني، مما يجعل الرجوع إلى الأصل العبراني<sup>(١)</sup> مما لا مندوحة عنه. يقول النص العبراني:

אָשָׁרִי יוֹשֵׁבְיַ בִּירְךָ עֹזֶד יְהִלְוֹדֶ סָלָה: אָשָׁרִי אָדָם  
עֹזֶדֶלֶן בְּדַ מִסְלֹות בְּלִבְבָּם: עֲבָרִי בְּעֵמֶק הַבְּכָא מַעַיָּן  
יִשְׂתַּוְהּוּ גַּם־בְּרָכּוֹת יִעְטָה מַזְרָה: יְלֻכּוּ מִחְיל אַל־חִילָּ  
יִרְאָה אַל־אֱלֹהִים בְּצִיוֹן

آشري يوشفي فيتخار عود يهلوخا، (سله)؛ آشري آدام عوز لو باخ، مسيلوت بلفافام، عوفري بعمق هبكا معيان يشتيوه، جم براخوت يعطيه موره، يلخو محائيل إل حايل، يرائيه إل إلوهيم بصيون.

(١) يعد "الأصل العبراني" الذي بين أيدينا أصلاً للنسخ المحرفة المطبوعة، لكنه ليس هو التوراة الأصلية ولا قريباً منها، فهو زاخر بالتحريف والتبديل.

يتحدث النص هنا عن بَرْكَةٍ تناول صنفين من الناس؛ أحدهما «يوشفي فيتخا» أي "ساكنو بيتك [أي بيت الرب]" ويصفهم النص بأنهم يسبحون الرب أبداً فهم في عبادة دائبة. والصنف الآخر «عوفري بعمق هبكا» "عاشرو وادي البُكاء" وهم الذين يأتون من كل فج عميق وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى بيت الله "طرق بيتك في قلوبهم".

وهذان الصنفان اللذان أشير إليهما في سفر المزامير جاء ذكرهما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّجِدَةِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَنكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ إِلْعَكَابِ يُظْلَمُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه."<sup>(١)</sup>

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير سورة الحج.

فـ "العاكف" - أي المقيم - في الآية الكريمة يقابلها "ساكنو بيتك" في نص المزامير، وـ "الباد" - أي الطارئ على البيت - يقابلها "عابرو وادي البكاء". لكن وادياً يدعى «وادي البكاء» لم يُعهد بمكة حتى يقال إن النص إشارة إلى وفود الحجيج. فأين يقع «وادي البكاء» إذن؟

لقد تخرّص شارحو العهد القديم أيماناً تخرّص عند تفسيرهم لـ "وادي البكاء". فقال البعض إنه سمي كذلك لكثره بكاء الحجيج أثناء عبورهم إلى القدس، مع أن القدس «أورشليم» غير مذكورة في نص المزمور. وقال آخرون هو اسم لشجرة «البكاء» أو «البكء» التي ربما كانت تملأ الوادي، إلا أن عالم الآثار «إسكندر ما كاليستر» يؤكّد عدم وجود مثل هذه الشجرة في أرض فلسطين.<sup>(١)</sup> لذا أقر البعض بأن الكلمة العربية (بـ-كـ-ا) أكثر الكلمات صعوبة في سفر المزامير.

بالرجوع إلى النص العربي نجد أن «وادي البكاء» ترجمة لـ «عِمق هـ-بـكا». فأما «عِمق» فتعني «وادي»، وأما «هـ» فهي أداة التعريف في العبرانية. لكن الذي لا يسلّم لشرح العهد القديم هو أن

---

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Balm".

(بـ-كـ-ا) في هذا النص هو البكاء. فالكلمة هنا علَمٌ على موضع  
يدعى "بكا" لا يعرفه الشراح أو لا يريدون معرفته. يقول تفسير The  
New Interpreter's Bible: "«بكا» يؤخذ عادة على أنه اسم  
علم. مكانه مجهول، لكن يبدو أنه بقعة جرداء إليها يجلب الحجيج  
غوثاً."<sup>(1)</sup> وهذا اكتفت جُلُّ النسخ الإنجليزية بكتابة الاسم كما هو  
. (Baca)

إن الترجمة الصحيحة لـ «عِمَق هـ-بَكَا» هي "وادي بكة" الذي فيه بيت الله الحرام قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَبَكُّهُ مُبَارَّكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ١٦﴾ فيه ما يُنَزَّلَتْ مَقَامٌ إِلَزَاهِيمٌ وَمَنْ دَخَلَهُ، كَانَ مَأْمَنًا وَلَلَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ولو لا خشية الإطالة لأوردت أقوال المخالفين من اليهود والنصارى وما تستحقه من إبطال.

ثم يضيف النص العربي قائلاً «معيان يشيتوه»؛ وقد ترجمته النسخ العربية " يجعلونه ينابيع ماء" ونحوه، أما النسخ الإنجليزية فتبينت كثيراً في ذلك. فمنها ما وافق النسخ العربية ومنها ما ترجمه

(1) The New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994), Vol. 4, pp.1013-14.

"يُعْدُونَهُ عِينَاهُ" كنسخة «الجمعية اليهودية للنشر»، أو "يجدون ماء عين يشربون منه" كـ«النسخة الأمريكية الحديثة». وعلى الرغم من اختلاف هذه النسخ إلا أنها تتفق في وجود عين أو بئر حول هذا البيت الحرام. وهذا لا يصدق إلا على بئر زمزم التي نبعت من تحت قدمي إسحائيل النبي.

يستمر النص العربي قائلاً «جَمِّ بِرَاحُوتٍ يَعْطِيهِ مُورِّهِ» وترجمتها وفقاً لنسخة «فان دايك» العربية "أيضاً ببركاتٍ يُعطُونَ مورَةً"، وقد أبعد المترجمون النجعة فجاءت ترجمتهم باهته لا تناسب السياق. والصحيح أن «براخوت يعطيه موره» تعني "الشارع [أو المُشَرَّع]" يمنح البركات" وإليه ذهبَت الترجمة السبعونية اليونانية. أما البركات هنا فهي التي أشير إليها في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَبَكِّهُ مُبَارَّكًا﴾.

ثم يصف النص بعض أعمال الحجيج بقوله «پلخو محایل إل حایل» وتفسيرها - كما تزعم نسخة «فان دايك» وغيرها - "يذهبون من قوة إلى قوة". وكان هذا الجزء من النص هو الذي دفعني إلى دراسته بلغته الأصلية. فالنص في ترجمته العربية وأغلب الترجمات الإنجليزية، باللغُ الركاكِة كما ترى، لا يُدرى المراد منه. فلما رجعت إلى النسخة

العبرانية وجدت أن الكلمة (ح-ي-ل) قد تُرجمت على المجاز - "قوة" - لا على الحقيقة، وأن الكلمة في العربية بمعنى «حائل» وهو الحاجز بين شيئين، فهي السور والتراس والجبل والتل والمرتفع من الأرض. وبقيت مدةً أبحث في المعاجم العبرانية وترجمات العهد القديم إلى أن وجدت بُغتي أخيراً في الترجمة العربية اليسوعية التي ترجمت الفقرة بقولها "من ذُرْوة إلى ذُرْوة يسرون". ثم زادني يقيناً ما وجدته في الترجمة العربية المشتركة "ينطلقون من جبل إلى جبل"، فأدركت أنني لم أكن واهماً وأن الفقرة تشير إلى السعي بين الصفا والمروة.

ثم يختتم النص مسیر الحجيج بقوله «يرائيه إل إلوهيم بصيون» وتفسيرها حسب ترجمة «فان دايك» "يُرَوُن قدام الله في صهيون". وهنا قد يورد البعض إيراداً وجيهأً وهو: ما مناسبة ذكر "صهيون" في هذا النص إن كان يتحدث عن حجاج بيت الله في مكة؟ والجواب على هذا الإيراد من وجهين؛ الوجه الأول: أن متن العهد القديم الذي يسميه أصحابه «توراة» نالته يد التحرير والتبدل بنص القرآن، بل باعتراف علمائهم، فلا يُستغرب أن تكون كلمة "صهيون" هنا من تبدل النسخ.

أما الوجه الآخر: فلو سلّمنا جدلاً بسلامة النص العبراني فالفرق بين (صِ-ي-و-ن) (أي "صهيون") و(صَ-ي-و-ن) (أي

"الأرض القاحلة") هو حركة الحرف الأول، على أن هذه الحركات أُلحقت بالنص العبراني بعد كتابته بأكثر من ألف عام وكان ذلك بناء على ما رأه أحبار اليهود المعروفون بالـ «مَسُورِيْن»، وفيها من الأغلط المقصودة وغير المقصودة ما يُعْرَف به أشهر علمائهم من أمثال «جيمس بار» وغيره. وعليه فلا يُسَلِّم لـ أولئك الْبُهْتِ بأن الكلمة محرَّكة بالكسر لا الفتح. وبمعنى "الأرض القاحلة" تُرجم (إشعيا ٢٥:٥) "كَحَرْ في يَسِّ [صَيْوَن] تَخْفَض ضجيج الأعاجم"، وكذا (إشعيا ٣٢:٢) "كَسَوَاقِي مَاءٍ في مَكَانِ يَاسِ [صَيْوَن]". وبه ينبغي أن يترجم نص المزامير أعلاه هكذا "يُرَوُنْ قَدَامَ اللَّهِ بِأَرْضِ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ".

وليس المقصود هنا مجرد نظر الله إليهم، فالله لا تخفي عليه أعمال عباده في حج أو غيره فهو السميع البصير، وإنما المراد ما بينه المصطفى وَالْمُكَلِّفُ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَبْاهِي بِأَهْلِ عَرْفَاتٍ مَلَائِكَةَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ فَيَقُولُ: انظروا إِلَى عَبَادِي هُؤُلَاءِ جَاءُونِي شَعْثَأَ غَبْرَاً."<sup>(١)</sup>

ختاماً: أورد النص العربي كما في ترجمة «فان دايك» ثم نص الترجمة التي اعتمدت فيها "الأصل" العبراني مع الحرص على منطقية السياق وجلاء المعاني؛ ليرى القارئ كيف أسلهم المترجمون في طمس

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٥٢) والحاكم في المستدرك (١٧٠٨).

إشاراتٍ جليةٍ إلى الرسالة الخاتمة.

ترجمة «فان دايك»:

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبّحونك؛ طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء يصيرون نهيبوناً، أيضاً بركاتٍ يُغطّون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُرّون قدام الله في صهيون".

ترجمة الباحث: "طوبى للعاكفين في بيتك، دأباً يهلكونك.<sup>(۱)</sup>

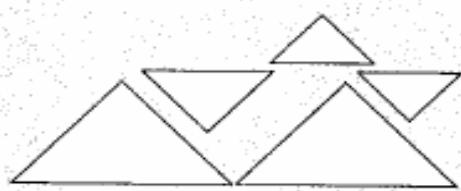
طوبى لأناس عزّهم بك، فجاج بيتك في قلوبهم، البدلين بوادي «بَكَة»، من عينٍ يشربون، ومن بركات المشرع ينعمون، من جبلٍ إلى جبلٍ يسعون، ينظر الله إليهم بأرض غير ذات زرع."

(۱) "يهلكونها" في النص العربي. والتهليل - قول "لا إله إلا الله" - والتكبر في الحج أظهر من التسييج.

ختاماً: أقول للقس «جورج بوش» واللاهوتي «روزنمولر» اللذين أرادا صرف البشارة عن مكة فما أفلحا: إن المسلمين الذين تخافان أن "يسئوا مقصداً" يقرؤون قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كُلَّ إِعْبُدَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِسَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِسَابِعٍ قِبْلَةٌ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾١٤٥﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْثُرُونَ الْحَقُّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾١٤٦﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة ١٤٥-١٤٧].

## **الفصل الرابع**

### **أمته ﷺ ترث الأمم**





## التمثال والحجر

يذكر سفر دانيال من العهد القديم أن الملك البابلي بختنصر رأى ذات ليلة رؤيا فأصبح يسأل عنها المفسرين فدُلِّ على دانيال النبي لاشتهاره بتاويل الأحاديث، فأجابه: «رَأَيْتَ أَيْثَابَ الْمَلِكِ وَإِذَا بِتَمَثَالٍ عَظِيمٍ ضَخْمٍ كَثِيرَ الْبَهَاءِ وَاقِفًا أَمَامَكَ وَكَانَ مَنْظَرُهُ هَائِلًا. وَكَانَ رَأْسُ التَّمَثَالِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَبَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ خَلِيلٌ مِنْ حَدِيدٍ وَمِنْ خَرْفٍ. وَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي الرُّؤْيَا انْقَضَ حَجَرٌ لَمْ يُقْطَعْ بِيَدِ إِنْسَانٍ، وَضَرَبَ التَّمَثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْمُصْنُوعَتَيْنِ مِنْ خَلِيلِ الْحَدِيدِ وَالْخَرْفِ فَسَحَقَهُمَا، فَتَحَطَّمَ الْحَدِيدُ وَالْخَرْفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالْذَّهَبُ مَعًا، وَانْسَحَقَتْ وَصَارَتْ كَعْصَافَةً الْبَيْدَرِ فِي الصَّيفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ حَتَّى لَمْ يَيْقِنْ لَهَا أَثْرٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التَّمَثَالَ فَتَحَوَّلَ إِلَى جَبَلٍ كَبِيرٍ وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ الْخَلْمُ.»

ثم فسر دانيال الرؤيا بقوله:

«أَنْتَ أَيْثَابَ الْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ، لَأَنَّ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِمَمْلَكَةٍ وَقُدْرَةٍ وَسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ، وَوَلَاكَ وَسَلَطَكَ عَلَى كُلِّ مَا يَسْكُنُهُ

أَبْنَاءُ الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ. فَأَنْتَ الرَّأْسُ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ.  
 ثُمَّ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَقُومَ مِنْ بَعْدِكَ مَلَكَةُ أُخْرَى أَقْلُ شَأْنًا مِنْكَ، وَتَلِيهَا  
 مَلَكَةُ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمْثَلَةٌ بِالنُّحَاسِ فَتَسُودُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. ثُمَّ تَعْقِبُهَا  
 مَلَكَةُ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، فَتُخْطِمُ وَتَسْحَقُ كُلَّ تِلْكَ الْمَالِكِ كَالْحَدِيدِ  
 الَّذِي يَدْعُقُ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعَ هِيَ  
 خَلِيلُهُ مِنْ خَرَفٍ وَحَدِيدٍ، فَإِنَّ الْمُمْلَكَةَ تَكُونُ مُنْقِسَمَةً فَيَكُونُ فِيهَا مِنْ  
 قُوَّةِ الْحَدِيدِ، بِمِقْدَارِ مَا شَاهَدْتَ فِيهَا مِنْ الْحَدِيدِ مُخْتَلِطاً بِالْخَرَفِ. وَكَمَا  
 أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرَفٍ، فَإِنَّ بَعْضَ  
 الْمُمْلَكَةِ يَكُونُ صَلْبًا وَالْبَعْضُ الْآخَرُ هَشًا. وَكَمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطاً  
 بِخَرَفِ الطَّينِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمُمْلَكَةَ تَعْقِدُ صِلَاتٍ زَوَاجٍ مَعَ مَالِكِ النَّاسِ  
 الْآخَرِيِّ، إِنَّمَا لَا يَلْتَحِمُونَ مَعًا، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِالْخَرَفِ.

وَفِي عَهْدِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ يُقْيِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَلَكَةً لَا تَنْقِرُضُ  
 إِلَى الأَبَدِ، وَلَا يُتْرَكُ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبْيِدُ جَمِيعَ هَذِهِ  
 الْمَالِكَ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى الأَبَدِ. لَأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَجَرَ المُنْقَضَ الَّذِي  
 لَمْ يُقْطَعْ مِنَ الْجَبَلِ بِيَدَيْنِ، قَدْ سَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَرَفَ وَالْفِضَّةَ  
 وَالْذَّهَبَ. إِنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ قَدْ أَطْلَعَ الْمَلِكَ عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي الْأَيَّامِ الْآتِيةِ؛  
 فَالْحُلْمُ حَقِيقَةٌ وَتَفْسِيرُهُ صِدْقٌ. " [دانيال ٢: ٤٥-٢٩]

أما الملك الرابع فيفسرها القديس جيروم بأنها المملكة البابلية، ثم الميدية/ الفارسية، ثم الإسكندرية/ المقدونية، ثم الرومية. يقول: "... من الواضح أن الإمبراطورية الأولى، البابلية، تقارن هنا بأثمن معدن، وهو الذهب ... إمبراطورية الميديين والفارسيين تشبه الفضة ... «وَتَلِيهَا مَلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمْثَلَةٌ بِالنُّحَاسِ»، هذا يشير إلى الإمبراطورية الإسكندرية [المقدونية] ... أما الإمبراطورية الرابعة التي تشير بجلاء إلى الروم، فهي الإمبراطورية الحديدية التي تحطم وتغلب الملك الأخرى.<sup>(١)</sup>

وقد علق على هذا الرأي الأسقف الإنجليزي «توماس نيوتن» في كتابه «رسائل في النبوءات» بقوله: «كل الكتاب الأوائل، يهود ونصارى، يتتفقون مع «جيروم» في تفسيره المملكة الرابعة بالروم.<sup>(٢)</sup>» فمن مشاهير آباء الكنيسة الذين يذهبون لهذا المذهب القديس

(1) St. Jerome. Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977), p. 31.

(2) Thomas Newton. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832), p. 183.

«هيبوليتوس» الذي قال بنفس الرأي في تعليقه على سفر دانيال؛<sup>(١)</sup> وكذا القديس «كيرلس الأورشليمي» في محاضراته العقدية.<sup>(٢)</sup> أما المفسر الشهير «متّى هنري» فعبر عن ذلك بقوله: "«الساقان والقدمان الحديديان» إشارة إلى الملكية الرومية."<sup>(٣)</sup> وكونها ساقين وقدمين فيه إشارة إلى انقسامها إلى إمبراطورية رومية غربية وأخرى شرقية.

ولكن ماذا عن الحجر الذي دك التمثال وتحول إلى جبل كبير  
ومناً الأرض كلها؟

إن أغلب النصارى - كعادتهم - لا يترددون في القول بأن هذه  
ملكة المسيح ~~الْمُكَلَّفَةِ~~. وهذا مجرد زعم لا يقوم على دليل مالي:

(1) Alexander Roberts et al. *The Ante-Nicene Fathers, Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325.* (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. V, p. 187.

(2) Philip Schaff. *The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series* (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. VII, p. 108.

(3) Matthew Henry: *Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume.* (Peabody: Hendrickson, 1996, c1991), Da 2:31.

أولاً: جاء في العهد الجديد أنه لما سأله بيلاطسُ المسيح القديس: "إِنَّ أُمَّتَكَ وَرُؤْسَاءَ الْكَهْنَةِ سَلَّمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟". أجاب قائلاً: "لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ حُرَّاسِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لَا أُسْلِمَ إِلَى الْيَهُودِ. أَمَّا الْآنَ فَمَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هُنَّا". [يوحنا ١٨: ٣٥، ٣٦] فهي مملكة روحية.

ثانياً: جاء في تأويل الرؤيا أن الحجر أو المملكة الأبدية ستستحق غيرها من الممالك، ولم نر هذا من المسيح القديس وأتباعه، بل لقوام من الاضطهاد والمعاناة الشيء الكثير، حتى إن أعداءهم حاولوا قتل المسيح القديس فنجاه الله تعالى، بل إن النصارى يرون أنه قتل فعلاً على صليب؛ فلم يتحقق لهم ذلك إلا في الآخر.

ثالثاً: من قال إن نصرة النصارى كانت على يد الإمبراطور الوثني الرومي «قسطنطين»، فهو لا يعرفحقيقة الرجل، فقد كان من عباد الإله الوثني (Sol Invictus) أو «الشمس التي لا تقهقر»، وهو الذي بدل دين النصارى كما سيأتي بيان ذلك عند شرح الإصلاح السابع من سفر دانيال.

رابعاً: أورد المؤرخ اليهودي «فلافيوس يوسيفوس» هذه الرؤيا

في كتابه «عاديات اليهود»، لكنه لما بلغ الحديث عن الحجر قال: "لقد بَيَّنَ دانيالُ أَيْضًا معنى الحجر للملك، لكنني لا أرى ذكره مناسباً لأنني إنما أخذت على نفسي وصف الأمور الماضية والحاضرة، لا الأمور المستقبلة."<sup>(١)</sup>

ومن المعلوم أن «يوسيفوس» (٣٧-١٠٠ م) عاش بعد المسيح القديس، وكتابه هذا كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي (٩٤ م تقريباً)، ومع ذلك فإنه يصرح أن تفسير الحجر المذكور في الرؤيا لم يقع بعد، فدل على أن تأويلها ليس في زمن المسيح القديس. لكننا لا ندرى لمَ لم ير ذكرها. يعلل هذا «قاموس التفسير اللاهوتي للكتاب المقدس» بقوله: "يَعُدُّ «يوسيفوس» روما المملكة الرابعة في (دانيال ٢)، لكنه يرفض التعليق على الحجر، ربما لئلا يجرح مشاعر القراء الروم بحديثه عن سقوط روما. ولعل هذا يفسر تجاهله لـ (دانيال ٧)."<sup>(٢)</sup>

---

(1) Flavius Josephus. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006), p. 438.

(2) Kevin J. Vanhoozer, et al. Dictionary for Theological Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005), p. 156.

وهذا سبب وجيه؛ لأن «يوسيفوس» كان من بطانة أباطرة الروم. ولكن هل يمكن أن يكون ثمة سبب آخر وهو أنه عرف من هو الحجر، لكنه - كحال غيره من اليهود - لم يُرد أن يبُوح بوصف النبي محمد ﷺ وأمته؟ هذا أيضاً محتمل خصوصاً إذا علمنا أن هذه الرؤيا متعلقة برؤيا دانيال في الإصلاح السابع الذي تجاهله «يوسيفوس».

فما الذي يمثله الحجر؟ إنه المملكة التي دكت عروش الأكاسرة الفرس والقياصرة الروم و"لم تقطع يد إنسان" بل قامت على وحي إلهي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا نعت محمد ﷺ لا نعت المسيح - القليلة - فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأئمها حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته في مشارق الأرض ومغاربها وسلطانه دائم لم يقدر أحد أن يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها".<sup>(١)</sup>

وقد قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ، وَلَوْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ» [التوبه: ٣٣].

\* \* \*

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥/٢٧٧.

## رؤيا الحيوانات الأربعة

هذه الرؤيا تلتقي مع سابقتها في كثير من تفاصيلها؛ فهي تتحدث عن أربع ممالك يتبع بعضها بعضاً، أقواها المملكة الرابعة التي تسحق الممالك الثلاث، وتضطهد "القديسين" - على حد تعبير الرؤيا - لكن الغلبة في نهاية الأمر تكون للقديسين، وتبقى مملكتهم إلى الأبد. يقول «قاموس النبوة الكتابية ونهاية الزمان»: "بالرغم من أن كلاً من الإصلاحين الثاني والسابع من سفر دانيال يسجل رؤيا منفصلة، إلا أنها يتناولان السيناريو ذاته - تجلي أربع ممالك قوية عبر التاريخ، تبدأ من زمن دانيال".<sup>(١)</sup>

و قبل الشروع في تفسيرها أفضّل إيرادها بتمامها حتى يؤخذ الكلام في سياقه.

"فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِحُكْمِ يَهُشَّاصَرِ مَلِكِ بَابِلِ رَأَى دَانِيَالُ حُلْمًا وَرَوَى، مَرَّتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ مُضطَبِّعٌ فِي فِرَاشِهِ، فَدَوَنَ الْحُلْمَ وَحَدَّثَ بِخُلاصَةِ الرُّؤْيَا. قَالَ دَانِيَالُ:

(1) J. Daneil Hays, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009), "Four Beasts of Daniel".

«شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا، وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِياحِ السَّمَاءِ قَدْ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، وَمَا لَيْثَ أَنْ صَعَدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. فَكَانَ الْأَوَّلُ كَالْأَسْدِ بِجَنَاحَيْنِ كَجَنَاحَيِ النَّسَرِ. وَبَقِيتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتُلَعَ جَنَاحَاهُ، وَأَنْتَصَبَ عَلَى الْأَرْضِ وَاقِفًا عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَانٍ، وَأُعْطِيَ عَقْلَ إِنْسَانٍ. وَرَأَيْتُ حَيَوَانًا آخَرَ شَبِيهًَا بِالْدُّبِّ، قَائِمًا عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ، وَفِي فَمِهِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ثَلَاثُ أَضْلَعٍ وَقَيْلَ لَهُ: «اِتْهَضْ وَكُلْ لَحْمًا كَثِيرًا»، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ هَذَا حَيَوَانًا آخَرَ مِثْلَ النَّمِرِ، لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَاجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ هَذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَفُوَضَتْ إِلَيْهِ سُلْطَاتٌ. وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيَ اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. وَفِيهَا كُنْتُ أَتَأْمَلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلَعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمٍ. وَفِيهَا كُنْتُ أَنْظُرُ، نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتَلَى الْأَزْلِيُّ كُرْسِيَّهُ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثَّلِيجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيَا مُتَوَهِّجًا وَعَجَلاًتُهُ نَارًا مُتَقَدَّةً. وَمِنْ أَمَامِهِ يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَحْدُمُهُ الْوَفُ الْمُلَائِكَةُ، وَيَمْثُلُ

في حضرة عشرات الألوف. فانعقد مجلس القضاء وفتحت الأسفار. وبقيت أرافق القرن من جراء ما تفوه به من عظائم، حتى قتل الحيوان وتلف جسمه وطراح وقوداً للنار. أما سائر الحيوانات فقد جردت من سلطانها، ولكنها وهبت البقاء على قيد الحياة لزمن ما.

وشاهدت أيضاً في رؤى الليل وإذا بمثل ابن الإنسان مقبلاً على سحاب حتى بلغ الأذلي فقربوه منه. فانعم عليه سلطان ومجيد وملكت لتبعده كل الشعوب والأمم من كل لسان. سلطان أبدي لا يفنى، وملكة لا ينفرض.

أما أنا دانيال فقد رأى الحزن على روحه في داخلي ورؤى عني رؤى رأسي. فاقربت من أحد الواقعين واستفسر منه حقيقة الأمر، فأطلعني على معنى الرؤيا قائلاً:

«هذه الحيوانات الأربع العظيمة هي أربعة ملوك يظهرون على الأرض. غير أن قدسي العلي يستولون على المملكة ويتملكونها إلى أبد الآدين. حيثما أردت أن أطلع على حقيقة الحيوان الرابع الذي كان مختلفاً عن سائر الحيوانات، إذ كان هائلاً جداً ذات أسنان من حديد ومخالب من نحاس، وقد افترس وسحق وداس ما تبقى برجليه. وعن

القُرُون العَشْرَة النَّامِيَّة في رَأْسِهِ، وَعَنِ الْقَرْنِ الْآخِر الصَّغِيرِ الَّذِي نَبَتَ، فَاقْتُلَعَتْ أَمَامَهُ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ. هَذَا الْقَرْنُ ذُو الْعَيْوَنِ النَّاطِقِ بِالْعَظَائِمِ وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ هَوْلًا مِنْ رِفَاقِهِ. وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْقَرْنَ يُحَارِبُ الْقِدِيسِينَ وَيَغْلِبُهُمْ. إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَزْلِيُّ وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الَّذِي فِيهِ تَبَرَّأَتْ سَاحَةُ قِدِيسِيِّ الْعَلِيِّ، وَأَزْفَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ امْتَلَكُوا الْمُمْلَكَةَ. فَأَجَابَ: إِنَّ الْحَيَوَانَ الرَّابِعَ هُوَ رَمْزٌ لِلْمُمْلَكَةِ الرَّابِعَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْمَاهِلِكِ لِأَنَّهَا تَسْتَوِي عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَتُخْضِعُهَا وَتَسْحَقُهَا.

أَمَّا الْقُرُونُ الْعَشْرَةُ مِنْ هَذِهِ الْمُمْلَكَةِ فَهِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّهُنَّا، ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْضِعُ ثَلَاثَةً مُلُوكٍ، وَيُعَيِّرُ الْعَلِيَّ وَيُنَكِّلُ بِقِدِيسِيِّهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَافِنَ، فَيُذَلِّلُ الْقِدِيسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَنَصْفَ السَّنَةِ [فِي الأَصْلِ الْأَرَامِيِّ: "إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَنَصْفَ زَمَانٍ"]. وَلَكِنْ يَنْعِقَدُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ، فَيُجَرِّدُ مِنْ سُلْطَانِهِ فَيُدَمَّرُ وَيَقْنَى إِلَى الْمُتَهَمِّ.

وَتُوَهَّبُ الْمُمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَاهِلِكِ الْقَائِمَةُ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِيسِيِّ الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتًا أَبْدِيًّا، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ. إِلَى هُنَا خِتَامُ الرُّؤْيَا. أَمَّا أَنَا دَانِيَالَ فَقَدْ رَوَّعَتْنِي أَفْكَارِي كَثِيرًا وَتَغَيَّرْتُ هَيْئَتِي، وَلَكِنِّي كَتَمْتُ الْأَمْرَ فِي قَلْبِي..»

يقول القديس «هيبيوليتوس الرومي» شارحاً هذه الرؤيا:

يشير دانيال بذكره الحيوان الأول، أعني الأسد الذي خرج من البحر، إلى مملكة البابليين التي كانت قائمة حينذاك؛ وهو نفسه "رأس الذهب" في التمثال. وبالحديث عن "جَنَاحِينَ كَجَنَاحِي النَّسْرِ" يبين أن الملك «نبوخذنصر» تعالى وتكبر على الرب. ثم يقول بأن "جَنَاحِيهُ اقْتُلُوا"، ويعني بهذا أن مجده قُوض، لأنه أخرج من مملكته ... وبعد الأسد، يرى النبي حيواناً آخر كالدب، وهو يرمز إلى الفرس ... والثالث كان النمر، ويقصد به اليونان. لأنه بعد الفرس استولى الملك الإسكندر المقدوني على الحكم لما انتصر على داريوس؛ وهذا يمثله النحاس في التمثال. وفي حديثه عن "أَرْبَعَةِ أَجْنِحةٍ كَأَجْنِحةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَيَوانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ" بين بجلاء كيف انقسمت مملكة الإسكندر إلى أربعة أقسام ... ثم يحدثنا عن "حَيَوانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًا، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَمَخَالِبٍ مِنْ نُحَاسٍ". ومن هو المراد بهذا الوصف إن لم تكن مملكة الروم، وهي المراد كذلك بالحديد الذي به تسحق عروش الإمبراطوريات التي قبلها، وتسسيطر به على

الأرض؟ فماذا بقي علينا تفسيره مما رأته الرؤيا إلا "أصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف قد اختلطا"؟ وبالأصابع العشرة في التمثال عنى مجازاً الملوك العشرة الذين خرجوا منها [ملكة الروم]، كما فسرها دانيال أيضاً.<sup>(١)</sup>

ويعلق مؤلفو «اللاهوت الكتبي للعهد القديم» على الرؤيا بقولهم: "من الواضح أنها [يعني الحيوانات] تمثل أربع ممالك متتابعة وملوكها على التوالي. والرأي التقليدي المحافظ هو أن هذه الممالك هي: بابل، والمملكة الميدية/ الفارسية، واليونان، وروما."<sup>(٢)</sup>

فالرأي الذي كان سائداً في القرون الأولى ولا يزال يُعدُّ الرأي المحافظ في أوساط اليهود والنصارى؛ هو تفسير الحيوانات الأربع بملك بابل وفارس واليونان والروم على التوالي. وهي الممالك ذاتها التي وردت في الإصلاح الثاني من سفر دانيال.

(1) Alexander Roberts, et al. *The Ante-Nicene Fathers*, vol. V, p. 245.

(2) Roy B. Zuck, et al. *A Biblical Theology of the Old Testament* (Chicago: Moody Press, 1996, c1991), p. 393.

الجدير بالذكر أن الرؤيا تتحدث عن ممالك أربع كلها استولت على الأرض المقدسة. فمملكة بابل قامت في عهد «نبو بلاسار» عام ٦٢٦ ق.م، الذي كان أول ملوكها. ثم خلفه «نبوخذنصر» الذي كان في زمانه دخول فلسطين واستباحة المقدسات وإحراق الهيكل فيها يعرف بالسي بابلي. ثم توالي ملوك بابل إلى عهد آخرهم «نبونيد».

في عام ٥٣٩ ق.م غزا «قورش» بابل واستطاع أن يخضعها بعد أن استسلم «نبونيد». وبهذا انتهت مملكة البابليين الكلدانية وقامت مملكة الفرس الأخمينية. وكان من أرجى أعمال «قورش» لدى اليهود أن أعادهم إلى الأرض المقدسة، وأذن لهم ببناء الهيكل الثاني. وتوالي ملوك الإمبراطورية الفارسية إلى زمن داريوس الثالث.

في عام ٣٣٢ ق.م استولى «الإسكندر المقدوني» على بيت المقدس، وفي عام ٣٣١ ق.م دمر عاصمة الدولة الأخمينية بعد معارك عدّة ضد الفرس، وتعقب داريوس الثالث الذي قُتل قبل أن يدركه على يد «بيسوس» الفارسي؛ وهكذا قامت مملكة اليونان. لكنها بعد موت «الإسكندر» انقسمت بين قادته إلى أربعة أقسام: حكم «كاسندر» في Macedonia، و«ليسيماخوس» في تراقيا، و«سلوقس» في بلاد الرافين وفارس، و«بطليموس الأول» في بلاد الشام ومصر. ومن

الآخرين ظهرت سلالتا السلوقيين والبطالية. وكان من أشهر أباطرة السلوقيين الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» الذي استباح بيت المقدس عام 167 ق.م كما فصلنا. وقد جعل القديس «هيبوليتس» هذا الانقسام تفسيراً لما ورد في الرؤيا من "أربعة أحجحة كأحجحة الطائر... وأربعة رؤوس". وفي السنة 63 ق.م سقطت مملكة السلوقيين اليونانية بعد أن هُزمت من قبل الروم، واستولى الإمبراطور ромуи «بومبي» على بيت المقدس.

هنا أود الحديث عن الحيوان الرابع «ملكة الروم» بشيء من التفصيل. تقول الرؤيا: "وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَّانِ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًا، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلِيهِ. وَكَانَ يُخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَّانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأْمَلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلَعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الْإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمٍ ... وَبَقِيَتْ أَرَاقِبُ الْقَرْنِ مِنْ جَرَاءِ مَا تَفَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمٍ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَّانُ وَتَلَفَّ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوْدًا لِلنَّارِ".

حاول بعض الشراح أن يجعل من مملكة اليونان المملكة الرابعة، وفي سبيل ذلك قسم مملكة الأخينيين إلى مملكتين: الميدية والفارسية. وهذا من التكلف؛ فإن المملكة الميدية انضوت تحت المملكة الفارسية منذ عهد «قورش» فلا يمكن أن تكونا حيوانين مختلفين، إذ إن الرؤيا تجعل الملك الأربع حيوانات متباعدة تماماً. ولهذا لما تحدثت عن انقسام مملكة اليونان لم تجعلها حيوانات وإنما جعلتها أجنحة ورؤوساً للحيوان نفسه.

إن المملكة الرابعة هي مملكة الروم كما هو رأي علماء أهل الكتاب في القديم، لكنه لما ظهر الروم على فلسطين وخربوا المسجد الأقصى بعد زمان المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه أُسقط في أيديهم، فالمملكة الأبدية ظهرت - على حد زعمهم - برسالة المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه ولكن أعقبها اضطهاد عظيم للنصارى. لذا ذهب البعض إلى أن المملكة الرابعة هي مملكة اليونان والقرن الصغير هو «أنطيوخس الرابع»، في محاولة لجعل المملكة الرابعة سابقة للمملكة الأبدية التي جاء بها المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه. وسلم آخرون بأن المملكة الرابعة هي الروم، لكن جعلوا المملكة الأبدية عند نزول المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه في آخر الزمان.

من سمات الملكة الرابعة أن يخرج منها عشرة قرون أو ملوك كما فسرها دانيال. وليس المراد عدد الملوك كلهم، فإن ملوك السلالة السلوقية اليونانية وحدها أكثر من هذا العدد. لكن الرؤيا تتحدث عن مالك سيطرت على الأرض المقدسة، فناسب أن يكون الملوك من ارتبط تاريخهم بالأرض المقدسة. ونحن عندما نقرأ تاريخ الإمبراطورية الرومية نجد أن عشرة من ملوكها عُرِفوا باضطهاد النصارى حتى توافطاً مؤرخو النصارى على تسمية حقبتهم بـ «الاضطهادات العشرة». يعدد هذه الاضطهادات القمص أثناسيوس فهمي جورج في كتابه «الاستشهاد في فكر الآباء» تحت فصل بعنوان «الاضطهادات العشرة التي عبرت على الكنيسة في العصر الروماني»، فيقول:

١. الاضطهاد الأول تحت حكم الإمبراطور نيرون سنة ٦٤ م.
٢. الاضطهاد الثاني تحت حكم الإمبراطور دوميتيان سنة ٨١ م.
٣. الاضطهاد الثالث الذي بدأ في عصر تراجان سنة ١٠٦ م.
٤. الاضطهاد الرابع تحت حكم مارقس أوريليوس أنطونيوس عان ١٦٦ م.

٥. الاضطهاد الخامس الذي بدأ مع ساويرس عام ١٩٣ م.

٦. الاضطهاد السادس في عهد مكسيميانيوس التراقي سنة ٢٣٥ م.

٧. الاضطهاد السابع في عهد ديسيوس سنة ٢٥٠ م.

٨. الاضطهاد الثامن على يد فاليريان الطاغية سنة ٢٥٧ م.

٩. الاضطهاد التاسع في عهد أوريليان سنة ٢٧٤ م.

١٠. الاضطهاد العاشر في عهد دقليديانيوس سنة ٢٨٤ م.<sup>(١)</sup>

يضيف دانياł بعد حديثه عن الملوك العشرة قائلاً: "وَفِيهَا كُنْتُ أَتَأْمَلُ الْقُرُونَ إِذَا بَقَرْنِ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلَعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ".

هذا القرن هو «قسطنطين الكبير» كما أشار إلى ذلك القس الكاثوليكي الأسبق «ديفيد بنجامين كلداني» في كتابه «محمد ﷺ» كما

(١) انظر النسخة الإلكترونية للكتاب على هذا الرابط:

<http://www.ixoyc.net/data/Books/36.htm>.

ورد في كتاب اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>. فهذا الملك ظهر في زمن الملوك العشرة قبل هلاك دقليديانوس، فكانه نبت بينها. وأما الأباطرة الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة فهم: منافسه الرئيس «مكستيروس»، و«مكسيميونس دايا»، وأخيراً «ليسينيوس».

بعد هلاك «قسطنطيوس» الأب الذي كان كبير الأباطرة في الغرب (أو «أغسطس»<sup>(٢)</sup> الغرب) عام ٣٠٦ م، أصبح ما كان تحته من بريطانيا وببلاد الغال وجنودها تبعاً للابن «قسطنطين»، مما اضطر «جاليريوس» - أغسطس الشرق - إلى منحه لقب «القيصر» مخافة الدخول في حرب أهلية، لكنه شغل بالتمرد الذي قام به «مكستيروس بن مكسيمييان» إذ لم يعين «قيصرًا» لما نفي أبوه.<sup>(٣)</sup>

(١) عبد الأحد داود. محمد  كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ)، ص ٧٢.

(٢) **أغسطس**: لقب روماني يطلق على أباطرة الروم ويعني "العظيم" أو "الجليل" أو "المهيب". لكنه في ظل المملكة المنقسمة التي عاش «قسطنطين» في أثنائها أصبح يطلق على كبير الأباطرة في الشرق وكبير الأباطرة في الغرب. وما سواهما من الأباطرة يسمى «قيصاراً».

(٣) Jonathan Bardill. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011), p. 83.

استطاع المتمرد «مكستيوس» بدعم من الحرس الجمهوري أن يستحوذ على إيطاليا وشمال إفريقيا وأعلن نفسه «أغسطس» الغرب. ويرغم كرهه لقسطنطين تحالف معه ضد «جالريوس»، واستطاع أن يقتل قيصر الغرب «ساويرس». لكن «جالريوس» نصب «ليسينيوس» مكان «ساويرس» ومنحه لقب «أغسطس» الشرق.

في عام ٣٠٧ م تزوج قسطنطين من ابنة «مكسيميان» الذي كان قد عُزل مكرهاً عن منصب «أغسطس» الغرب، فأصبح قسطنطين يحكم بوصفه «أغسطس» بناء على الحق الذي منحه إياه «مكسيميان». لكنه فقد هذا الحق عام ٣١٠ م لما تردد عليه «مكسيميان»، فقام قسطنطين ضده وانتهى الأمر بانتحرار «مكسيميان» كما يذكر المؤرخون.<sup>(١)</sup> لكنه استعراض عن فقدان ذلك الحق بأن زعم أنه من نسل الإمبراطور الرومي «كلوديوس الثاني».

ما هلك «جالريوس» أصبح الجزء الغربي من الإمبراطورية تابعاً لـ «ليسينيوس» و«مكسيمينوس دايا». هنا عقد قسطنطين حلفاً مع «ليسينيوس» للقضاء على أغسطس الغرب «مكستيوس» وكذا

---

(1) Josef Lössl. *The Early Church: History and Memory* (Continuum International Publishing Group, 2010), p. 208.

المنافس الشرقي «مكسيمينوس دايا». ولتوثيق الأصرة زوج أخته «ليسينيوس». واستمر هذا الحلف إلى عام ٣١٦ م.<sup>(١)</sup>

تمكَّن قسطنطين من هزيمة وقتل أغسطس الغرب «مكستيوس» في معركة «جسر ميلفيو» الشهيرة عام ٣١٢ م. أما «ليسينيوس» فاتجه شرقاً وأخضع المنافس «مكسيمينوس دايا». وهكذا لم يتبق من منافسي قسطنطين إلا «ليسينيوس».

بحلول عام ٣١٦ م كان الخلاف قد دبَّ بين قسطنطين وليسينيوس، وقامت بينهما حربان استَغل فيها قسطنطين اضطهاد «ليسينيوس» للنصارى لتحريض الإمبراطورية ضده. كانت الحرب الأخيرة منها عام ٣٢٤ م، وانتهت بعزل «ليسينيوس» ومصادرة أملاكه، بعد وساطة من زوجته. لكن قسطنطين لم يطمئن له فقتله عام ٣٢٥ م. وهكذا أصبح القرن الصغير إمبراطوراً بعد أن قلع ثلاثة قرون أمامه هي: «مكستيوس» و«مكسيمينوس دايا» و«ليسينيوس».<sup>(٢)</sup> وهذا ما عبر عنه النبي دانيال بقوله: «ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرُ يُخْتَلِفُ

(1) Timothy D. Barnes. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981), p. 62.

(2) المرجع السابق.

عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْصِّصُ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ.

قال دانيال بعد ذلك: "وَيُعَيِّرُ الْعُلَيَّ وَيُنَكِّلُ بِقِدْيِسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَافِينَ، فَيُذَلِّلُ الْقِدْيِسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ".

وفي ترجمة «فان دايك» العربية: "وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ضِدَّ الْعُلَيَّ وَيُبَيِّلُ قِدْيِسِيَ الْعُلَيَّ، وَيَظْهُرُ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلِّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ".

أما الترجمة الحرفية للأصل الآرامي فكما يلي: "وبكلام ضد العلي يتكلم، ولقدisy العلي يبلي، ويسعى لتغيير الأزمنة والشريعة، ويوجهون بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن." وهي قريبة من الترجمة أعلاه، إلا أنها أدق، وهذا يسهم في تفسير النص كما ينبغي. فقوله "ويظن أنه يغير" في ترجمة «فان دايك» صحيحة، لكن ترجمة «كتاب الحياة» أنساب للسياق وتشهد لها معاجم الآرامية. وأما "زمان وأزمنة ونصف زمان" فإنها غير محددة بالسنوات بل هي كما أثبتناه.

تنص الفقرة على أن من صفات الملك الأخير «قسطنطين» ما

: يلي:

١. يتكلم في الله عَنْك بعظائم.
٢. يُبلي ("يَبَلِّي" بالأرامية) قدسي العلی، أي أن الدين يضمحل تدريجياً في عهده.
٣. يسعى لتغيير الأزمنة والشريعة.
٤. يظل القديسون تحت حكمه "زماناً وأزمنة ونصف زمان".

فهل كان قسطنطين كما وصف؟ لم يعتنق النصرانية ويتصدر لها ويقيم المجامع الكنسية؟ لعرفة الحقيقة أنقل من كتاب «الدم المقدس، الكأس المقدسة»:

تحول قسطنطين إلى النصرانية لا يبدو نصرانياً على الإطلاق، بل كان وثنياً بلا استحياء... فحسب شاهد العيان الذي كان مرافقاً لجيش قسطنطين حينها، كانت الرؤيا التي رأها لإله الشمس «سول إنفيكتوس» (الشمس التي لا تغدو) ... قسطنطين لم يجعل النصرانية الدين الرسمي لروما. بل كان الدين الرسمي لروما في ظل قسطنطين عبادة الشمس الوثنية؛ وعمل قسطنطين طوال حياته باعتباره كاهناً رئيساً لها. لقد سُمي عهده "إمبراطورية الشمس" ... إنه لم يُعمَّد حتى عام

٣٣٧م بعد أن صار طریحاً على فراش الموت، غير مكترث أو عاجزاً عن المقاومة ... كانت نحلة «الشمس التي لا تغدو» في جوهرها اتحادية فمهدت الطريق لاتحادية النصرانية. كما أنها كانت متساهلة في جوانب أخرى، فأدى هذان العاملان إلى تعديل النصرانية، وتسهيل انتشارها. فمثلاً صدر عام ٣٢١ مرسوم يقضي بأن قسطنطين يأمر بإغلاق المحاكم القانونية في "يوم الشمس المبجل" وأن يكون يوم عطلة. بعد أن كان النصارى يعدون سبت اليهود مقدساً ... وفي عام ٣٢٥ دعا إلى عقد مجمع «نيقية» وفيه تم إقرار تاريخ عيد الفصح، وصيغت قوانين لتبرز سلطة الأساقفة ... والأهم من هذا كله أن مجمع نيقية قرر بالتصويت أن عيسى إله وليس بشرأً نبياً.<sup>(١)</sup>

لقد استوفى قسطنطين ثلاثة من الأوصاف المذكورة في النص. فاما كلامه في الله بعظامه فزعمه أن الشمس إله الكون، وكذا نصرته لأهل الشرك في مجمع نيقية الذي أقرت فيه عقيدة النصارى الزاعمة أن

---

(1) Michael Baigent, et al. *Holy Blood, Holy Grail* (Dell Publishing, 1983), p. 365-368.

عيسى هو الله أو ابن الله. ويكتفي في بيان عظم ما افتروا قول الله ﷺ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّهُمْ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَأْتِيَ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا أَللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكُ بِإِلَهٍ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَلَهُ الْتَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. قوله فيمن نسب إليه الولد: ﴿وَقَالُوا أَتَخْذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَ مِنْهُ وَتَنَشَّقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَافِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣ لَقَدْ أَخْسَنُوهُمْ وَعَدَهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمةِ فَرِدًا ٩٥﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وأما كون القديسين يبلون في زمانه فهو من جراء صهره عقائد الوثنية الرومية وعقائد النصرانية في قالب واحد هو الكنيسة الكاثوليكية الرومية التي صارت تضطهد كل من خالفها وإن كان نصرانياً، وبهذا درست معالم دين المسيح عليه السلام وقل أتباعه، حتى لم يبق إلا قلة قليلة جداً يوم بعث النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وأما تغييره للأزمان فإنه أصدر مرسوماً يقضي بجعل يوم الأحد "Sun-day" (يوم الشمس) يوم عطلة بدل يوم السبت تمجيداً لعبوده الشمسي. جاء في هذا المرسوم: "في يوم الشمس المبجل، على القضاة والشعب الذين يقطنون المدن أن يتخذوا عطلة، وأن تغلق كل المحلات."<sup>(١)</sup> كما حدد في زمانه عيد الفصح الوثني.

بقي قوله "ويوهبون [أو "يُسلّمون"] [بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن]" فهو يشير إلى المدة التي يحكم فيها هذا الملك قدسي العلي. وقد اختلف في حسابها على أقوال كثيرة؛ فالقديس «أوغسطين» في كتابه «مدينة الله» يجعلها "عاماً وعامين ونصف عام، أي ثلاثة أعوام ونصف".<sup>(٢)</sup> وذهب غيره إلى أنها المذكورة في (دانيال ١٢:٧). وقيل غير ذلك؛ وكله لا يقوم به دليل.

لكن الراجح عندي - والله أعلم بالصواب - أن المراد "مائة ومائتان ونصف المائة"؛ إذ الغالب على استعمال ألفاظ "يوم" و"ساعة" ونحوهما التعبير عن "مائة عام" كما سبق بيانه في غير هذه البشارة، وإنما

- 
- (1) Charles B. Arand, et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011), p. 42.  
(2) St. Augustine. The City of God (T. & T. Clark, 1871), vol. II, p. 394.

رجح هذا التفسير لأسباب منها:

أولاً: أن صفات الملكة الرابعة لا تطبق على غير الروم، والقرن الصغير لا ينطبق على غير «قسطنطين» كما بينا، فمن زعم أن المراد مملكة اليونان وإمبراطورها «أنطونيوس الرابع» فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع.

ثانياً: إذا اعتبرنا الزمان في الرؤيا «سنة» واحدة كما زعم «أوغسطين»، أي «عاماً وعامين ونصف عام»، كان ذلك أقل بكثير من مدة حكم «أنطيوخس الرابع» (١٧٥-١٦٤ ق.م) أو «قسطنطين» (٣٠٦-٣٣٧م)، فضلاً عن أن يكون نهاية للمملكة اليونانية أو المملكة الرومية.

ولو اعتبرنا الزمان «عقداً» فأولناها "عقداً وعقدين ونصف عقد"، لم يتفق ذلك مع مدة حكم «أنطيوخس»، وكان أقل بقليل من مدة حكم «قسطنطين». لكن قسطنطين لم تنته به مملكة الروم ولم تقم بعده المملكة الأبدية، فلا يمكن أن يكون الحساب بالعقود.

ولو عدتنا الزمان الوارد في الرؤيا «قرناً»، لزم أن تكون المدة "قرناً وقرنين ونصف قرن" - أي ثلاثة قرون ونصف القرن، وهي

٣٥٠ عاماً تقريباً - بين قيام قسطنطين وبين ظهور مملكة القديسين في بيت المقدس الذين قال عنهم دانيال "وَتُوهَبُ الْمُلْكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَالِكِ الْقَائِمَةُ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ إِلَى شَعْبِ قِدِيسِيِّ الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتًا أَبِدِيًّا، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ".

وهذا الأخير هو الصواب، والله أعلم؛ فإنه برغم ما تعرضت له مملكة الروم من الغزو والتخريب من قبل قبائل «القوط الغربيين» وقبائل «الوندال» في القرن الخامس الميلادي إلا أن سيطرتها على الأرض المقدسة لم تنتهي، بل أصبح القدس تابعاً للإمبراطورية الشرقية التي تعرف باسم «الإمبراطورية البيزنطية». واستمر حكم الروم للقدس إلى منتصف القرن السابع باستثناء مدة يسيرة سقطت خلاها بيد الفرس الساسانيين ثم استعيدت من قبل الروم. فمتى إذن ظهرت المملكة الأبدية؟

لمعرفة ذلك علينا أن نتذكر أن قسطنطين جلس على عرش روما عام ٣٠٦ م، وأننا لو أضفنا إلى هذا التاريخ ثلاثة قرون ونصف القرن فإننا سنجد أنفسنا في منتصف القرن السابع الميلادي. فما إذا كان من شأن الأرض المقدسة في منتصف القرن السابع الميلادي؟

جاء في صحيح البخاري: "وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَّاَ [القدس] وَهِرَقْلُ سُقْفَا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَّاَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَيْثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْتَكَ! قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَاءَ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخَتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهْمَنَّكَ شَأْمِهِمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوَا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوَا أَخْتَنِينَ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَنٌ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرْوَمِيَّةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُروجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمْرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلَقَتْ ثُمَّ اطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتَبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حِيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلَقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتِهِمْ

وَأَيْسَ مِنِ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيْ! وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَاتِلِي آنِفًا أَخْتِرُ  
بِهَا شِدَّادَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ  
آخِرَ شَأْنٍ هِرَقلَ.<sup>(١)</sup>

وقال ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوى وهو باليلياء وعظ  
النصارى فيها كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة  
حتى وصلت إلى محراب داود؛ قال لهم: "إنكم خلائق أن  
تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو  
إسرائيل على دم يحيى بن زكريا". ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا  
في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأذاحتها عمر بن  
الخطاب.<sup>(٢)</sup>

إن من أعظم أحداث التاريخ في منتصف القرن السابع الميلادي  
فتح بيت القدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، إكراماً من الله لهذه  
الأمة العظيمة التي وعد بها في أسفار أهل الكتاب على ألسنة الأنبياء  
عليهم السلام. قال ابن كثير في تاريخه:

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الولي، حديث رقم ٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: المكتبة العصرية)، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

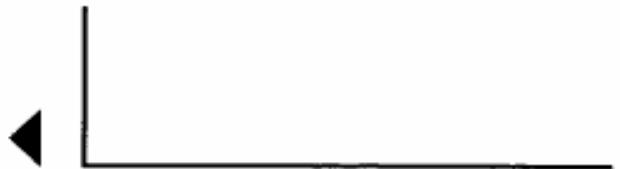
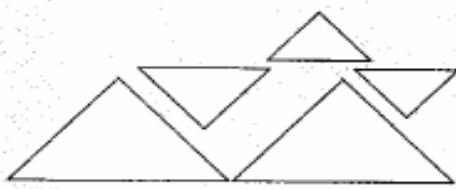
"إن أبو عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا [بيت القدس] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيئوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ... فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ... ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاثة، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. ويقال: إنه لبَّى حين دخل بيت المقدس فصلَّى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلَّى بال المسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها وال المسلمين معه وفي الثانية بسورةبني إسرائيل. ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العُمرى اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ونقل المسلمين معه في ذلك ...".<sup>(١)</sup>

---

(١) البداية والنهاية، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

أوليس هذا مصداق ما عبر عنه دانيال بقوله: "وَتُوَهِبُ الْمُلَكَةُ  
وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَهَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيسِي  
الْعَالِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَالِيِّ مَلَكُوتًا أَبَدِيًّا، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ  
وَيُطِيعُونَهُ؟" سؤال أدع الإجابة عنه للقارئ الليبي الذي أشهده الله  
ظهور مملكة القديسين بعد أن تهاوت الممالك الثلاث، فرأى صدق  
الإشارة رأي العين.

## الخاتمة





## ختاماً ..

يقول الله عَزَّلَكَ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ؛ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرَّى فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْعَوْنِي؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنْنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْقَاصِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنْنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنْنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ إِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا دُخِلَ الْبَحْرَ؛ يَا عِبَادِي إِنَّهَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيْكُمْ إِيَاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَخْمَدِ اللَّهُ أَعْلَمُ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَ إِلَّا نَفْسَهُ» [صحيح مسلم]

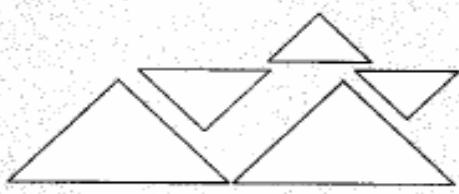
أيها القارئ المنصف، إن كنت ممن وفقه الله لاتباع نبيه ﷺ فالزم غرزة فقد جاء بالهدى ودين الحق، واحمد الله على نعمة الهدایة فإنها لا تعد لها نعمة؛ وإن لم تكن من أتباعه فقد آن أن تنزع عنك لباس الهوى وأن تتجرد للحق؛ فإن الله لا تضره معصيتك، كما لا تفعه

طاعتك، فهو الغني وأنت الفقير. أما لك في أنبيائك أسوة إذ بشروا  
بنبئ الإسلام ﷺ؟ فلِم تنكِّب صراطهم؟ أم أنك أوتيت من العلم ما  
لم يُؤْتُوا! ألا فأدرك ركاب المؤمنين قبل أن يترحلوا عنك، فإن السفر  
طويل لا يقطعه إلا زاد التقوى. واعلم أن علاقـة الدنيا متصرـمة إلا ما  
ابتـغيـ به وجهـ اللهـ، فلا تـكنـ منـ سعـىـ فيـ الدـنـيـاـ فـلـمـ يـتـفـعـ بـسـعـيـهـ،ـ فـإـنـ  
ذـلـكـ منـ أـعـظـمـ الحـسـرـاتـ يـوـمـ الـقيـامـةـ.

فاللهم لك الحمد أن هديتنا للإسلام، وأرسلت إلينا خير الأنام،  
الذي تركـناـ عـلـىـ الـبـيـضـاءـ لـيـلـهـاـ كـنـهـارـهـاـ لـاـ يـزـيـغـ عـنـهـاـ إـلـاـ هـالـكـ.ـ أـشـهـدـ  
إـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ،ـ وـأـشـهـدـ إـنـ مـحـمـداـ عـبـدـهـ وـرـسـولـهـ.

\* \* \*

# المراجع





المراجع العربية:

١. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ).
٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣. ابن جرير الطبرى، تفسير الطبرى المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م).
٤. ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠ هـ).
٥. تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦ هـ).
٦. ابن هشام، السيرة النبوية.
٧. عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٧ هـ).
٨. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ).
٩. أثناسيوس فهمي جورج، الاستشهاد في فكر الآباء، ([www.ixoyc.net/data/Books/36.htm](http://www.ixoyc.net/data/Books/36.htm)).

المراجع الأجنبية:

10. Albright, William F. *From the Stone Age to Christianity: Monotheism and the Historical Process* (Doubleday, 1957).
11. Arand, Charles B., et al. *Perspectives on the Sabbath: Four Views* (B&H Publishing Group, 2011).
12. Augustine, St. *The City of God* (T. & T. Clark, 1871).
13. Aurelius, Marcus. *The Apology of Tertullian*, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894).
14. Baigent, Michael, et al. *Holy Blood, Holy Grail* (Dell Publishing, 1983).
15. Bardill, Jonathan. *Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age* (Cambridge University Press, 2011).

16. Barnes, Timothy D. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981).
17. Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987).
18. Beckwith, Roger. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).
19. Box, G. H. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918).
20. Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865).
21. Catholic Encyclopedia, <[www.newadvent.org](http://www.newadvent.org)>.
22. Charles, R. H. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004).
23. \_\_\_\_\_ The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]).

24. \_\_\_\_\_ The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893).
25. Charlesworth, James H. *The Old Testament Pseudepigraha and the New Testament* (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998).
26. Chazon, Esther G., et al., *Things Revealed*, ed. (Leiden: Brill, 2004).
27. Cheyne, T. K. & J. Sutherland Black, ed. *Encyclopedia Biblica* (New York: The Macmillan Company, 1899).
28. Clayton, P. A. *Chronicle of the Pharaohs* (London: Thames and Hudson Ltd., 1994).
29. Collins, John J. *Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls* (London: Routledge, 1997).
30. \_\_\_\_\_ Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).

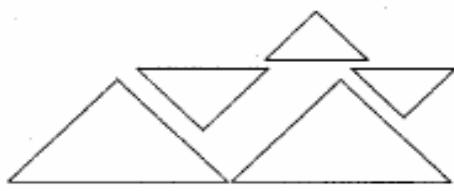
- 
31. Encyclopaedia Britannica.
  32. Encyclopedia Judaica (Brill Academic Pub, 1999, CD-ROM Edition).
  33. Freedman, David N. ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992).
  34. Fritzsche, Otto Fridolinus. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871).
  35. Hall, Robert G. “The ‘Christian Interpolation’ in the Apocalypse of Abraham,” in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988).
  36. Hays, J. Daneil, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009).
  37. Henry, Matthew. Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One

- Volume. (Peabody : Hendrickson, 1996, c1991).
38. International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003).
39. James, M. R. *The Biblical Antiquities of Philo* (Forgotten Books, 2007).
40. Jerome, St., *Jerome's Commentary on Daniel* (Baker Book House, 1977).
41. Singer, Isidore, ed. *Jewish Encyclopedia* (New York & London: Funk & Wagnalls Company, 1906).
42. Josephus, Flavius. *Jewish Antiquities* (Wordsworth Editions, 2006).
43. Kulik, Alexander. *Retroverting Slavonic Pseudepigrapha* (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004).
44. Laurence, Richrard. *The Book of Enoch, the Prophet* (Oxford: 1838).
45. Lössl, Josef. *The Early Church: History and Mem-*

- ory (Continuum International Publishing Group, 2010).
46. Neugebauer, Otto. et al. *The Book of Enoch: Or I Enoch* (Brill, 1985).
47. New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994).
48. Newton, Thomas. *Dissertations on the Prophecies* (London: Longman & Company, 1832).
49. NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995).
50. Roberts, Alexander. *The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325* (Cosimo, Inc., 2007).
51. Schaff, Philip. *The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series* (Oak Harbor : Logos Research Systems, 1997).
52. Vanhoozer, Kevin J., et al. *Dictionary for Theologi-*

- cal Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005).
53. Zuck, Roy B., et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991).

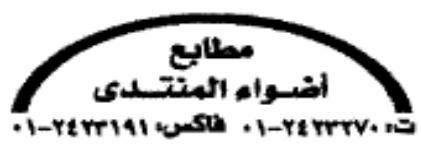
# الفهرس





الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٣	الفصل الأول: نبي آخر الزمان ﷺ
١٤	• مدخل
١٧	• رؤيا الأسابيع
١٧	– الكتابات المنحولة
١٨	– سفر أختونخ ورؤيا الأسابيع
٢٩	– تفسير النص
٦٣	• رؤيا إبراهيم عليه السلام
٦٤	– نص الرؤيا وتفسيره
٩٩	• عهد موسى عليه السلام
١٠٠	– النص وتفسيره
١١١	الفصل الثاني: اسم النبي ﷺ في أسفار أهل الكتاب
١١٣	• «محمد» ﷺ في سفر «هوشع»
١٣١	الفصل الثالث: قبلته ﷺ مثابة للناس
١٣٣	• «بكة» في سفر المزامير

١٤٣	الفصل الرابع: أمته ﷺ ترث الأمم
١٤٥	• التمثال والحجر
١٥٢	• رؤيا الحيوانات الأربع
١٧٧	الخاتمة
١٨١	المراجع
١٩١	الفهرس



مطابع

أصوات المنشد

٢٤٣٣٢٧٠ - ١٢٤٣٣٢٧٠ - فاكس، ٩١-٢٤٣٣١٩١